

الشرح المفيد

على

كتاب التوحيد

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

ت ١٢٠٦هـ رحمه الله

تأليف

الفقير إلى عفو ربه

محمد مهيمي الجاوي

غفر الله له ولوالديه ومشايخه ولجميع المسلمين

قدم له

الأستاذ الفاضل أبو العباس طبراني حفظه الله

مقدمة الأستاذ الفاضل

أبي العباس طبراني حفظه الله

بسم الله :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

فهذا الكتاب الذي ألفه الأستاذ الكريم أخي محمد مهيمي كتاب ماتع و مفيد. هذا الكتاب شرح لكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فهو شرح مختصر سماه مؤلفه : الشرح المفيد على كتاب التوحيد.

وفق الله مؤلفه و بارك في علومه و جعل هذا الكتاب مفيدا للأمة كاسمه.

كتبه الراجي إلى رحمة الله

أبو العباس طبراني

٩ ذي الحجة ١٤٤٥هـ

مقدمة الشارح

الحمد لله الصمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفوا أحد, ويُنزه عن كل جميع الأشباه والأنداد, والذي جميعُ الخلق من السموات والأرض له الخضوع والانقياد, بيده كل شيء فلا يعجزه الأعداد والآحاد, وهو الحكيم الخبير الذي لا يخلف الميعاد.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة صاحب الفضيلة والدرجة الرفيعة, والذي وعده الله بالشفاعة يوم القيامة, وعلى آله وأصحابه الذين هم خير الأمة على الأمم السابقة, وعلى من تبعهم بإحسان إلى الأيام اللاحقة. فبعد :

فإن علم التوحيد من أجل العلوم وأعظمها, بل هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل, كما قاله العلامة ابن القيم في مدارجه. وكذا قال الشيخ العلامة حافظ الحَكَمي رحمه الله في منظومته :

أول واجب على العبيد　　　　معرفة الرحمن بالتوحيد

فقد اهتم علمَ التوحيد جَم العلماء منهم الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب - غمره الله برحمته الواسعة - في كتابه الذي يسمى بـ"كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد".

وكذا قد اعتنى هذا الكتابَ الطلاب والمشايخ الفضلاء حفظا وتدريسا وشرحا. وقد أريد أن أُسهِم في هذا الحظ بعد الاستخارة لله تعالى, فأشرع ما يسّرلي تعالى بعد أن شرح صدري أن أشرّح هذا الكتاب شرحا مختصرا ميسرا – بإعانته وتوفيقه – مع ذكر الأدلة الشرعية واعتماد أقوال العلماء الفحول. فاستفدت كثيرا من كتاب : فتح الرب الحميد في شرح كتاب التوحيد للدكتور خالد بن محمود الجهني حفظه الله مع ازدياد فوائد من عدة كتب أُخر. وسميت هذا الكتاب : "الشرح المفيد على كتاب التوحيد".

فأسأل الله جل جلاله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل عملي مخلصا لوجهه الكريم ونافعا لنفسي ولغيري من طلبة العلم فضلا في بيادتهم في دراسة كتاب التوحيد. وأخيرا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد مهيمي الجاوي

بكالونجان - جاوى الوسطى - إندونسيا

٢٢ ذي القعدة ١٤٤٥هـ

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

الحمد لله, وصلى الله على محمد[3] وعلى آله وسلم.

---

[1] هو العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد التميمي. ولد رحمه الله سنة ١١١٥هـ في بلدة العيينة من أرض نجد ونشأ فيها. ومن مصنفاته : كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد, أصول الإيمان, فضل الإسلام, كشف الشبهات, مسائل الجاهلية, مختصر زاد المعاد وغيرها. وقد أثنى على الشيخ ودعوته كثير من العلماء. قال العلامة الشوكاني عنه : "من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة", وقال العلامة الألوسي عنه أيضا : "شديد التعصب للسنة, كثير الإنكار على من خالف الحق, من العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر". وتوفي الشيخ في الدرعية سنة ١٢٠٦هـ يوم الاثنين آخر شهر شوال, وصلي عليه في بلدة الدرعية. رحمه الله رحمة واسعة (انظر: مشاهير علماء نجد ص ١٦-٢٦, حياة الشيخ محمد بن الوهاب ص ١٣١-١٣٨)

[2] الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه. والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم. فكان الأول للوصف, والثاني للفعل. فالأول دال على أن الرحمة صفته, والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته. وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله : (وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) [الأحزاب : ٤٣], (إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة : ١١٧]. ولم يجئ قط رحمن بهم. فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة, ورحيم هو الراحم برحمته". (انظر: بدائع الفوائد ١/ ٢٤)

[3] قال أبو علية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة, وصلاة الملائكة الدعاء (انظر: صحيح البخاري ٦/ ١٢). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه, أن

كتاب التوحيد[1]

وقول الله تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ[2] وَالأِنْسَ[3] إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ[4]} [الذاريات : ٥٦]

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه, ما لم يحدث, تقول : اللهم اغفر له, اللهم ارحمه". متفق عليه

[1] ورد لفظ التوحيد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى أهل اليمن, قال له : "إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب, فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى . . .". متفق عليه. وهذا اللفظ للبخاري. ولفظ مسلم : فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله. والتوحيد نوعان : نوع في العلم والاعتقاد, ونوع في القصد والإرادة. ويسمى الأول التوحيد العلمي, والثاني التوحيد القصدي الإرادي, لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة, والثاني بالقصد والإرادة. وهذا الثاني أيضا نوعان : توحيد في الربوبية, وتوحيد في الألوهية. فهذه ثلاثة أنواع. فأما توحيد العلم فمداره على إثبات صفات الكمال, وعلى نفي التشبيه والمثال, والتنزيه عن العيوب والنقائص". (انظر: مدارج السالكين ١/٤٨-٤٩)

[2] سموا بذلك لأنهم متسترون عن أعين الخلق. قال الله تعالى : (إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ) [الأعراف : ٢٧]

[3] سموا بذلك لظهورهم. يقال : آنستُ الشيء أي إذا رأيته. قال الله تعالى : (فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا) [النساء : ٦]

[4] العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة (انظر: مجموع الفتاوى ١٠/١٤٩-١٥٠), أو هي عبارة عما

وقوله : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ[1]} [النحل : ٣٦]

وقوله : {وَقَضَى[2] رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ[3] وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ[4] وَلا تَنْهَرْهُمَا

يجمع كمال المحبة, والخضوع, والخوف (انظر: تفسير ابن كثير ١٣٤/١). والعبودية نوعان : عامة وخاصة. فالأولى عبودية القهر والملك. قال الله تعالى : (إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا) [مريم : ٩٣], وقال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ) [الفرقان : ١٧]. والثانية عبودية الطاعة والمحبة. قال الله تعالى : (يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) [الزخرف : ٦٨]

[1] كما قال الله تعالى : (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ) [الأنبياء : ٢٥]. والطاغوت لغة مشتق من الطغيان من فعل طغى بمعنى ما يجاوز القدر. وشرعا كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع

[2] هذا قضاء شرعي خاص بالمؤمنين, لأنه يتعلق بأوامر الله الشرعية. والثاني قضاء كوني عام لجميع المخلوقات كما قال الله تعالى : (وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [الزمر : ٦٩]

[3] لأن العبادة غاية التعظيم, فلا تستحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام (انظر: تفسير الألوسي ١٤٦/٥)

[4] قال مجاهد : إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان, فلا تتقذرهما, ولا تقل لهما : أف, حين تميط عنهما الخلاء والبول, كما كانا يميطان عنك صغيرا (انظر: تفسير البغوي ١٢٦/٣-١٢٧)

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً[1] ٢٣ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ[2] مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ٢٤} [الإسراء : ٢٣-٢٤]

وقوله : {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً[3]} [النساء : ٣٦]

وقوله : {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ[4] نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ[5] وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ[6] ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١ وَلا

---

[1] قال مجاهد : لا تسمِّهما ولا تكنِهما, وقل لهما : يا أبتاه يا أماه (انظر: تفسير الثعلبي ٦/٩٣)

[2] قال عروة بن الزبير رضي الله عنه : أَلِنْ لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحَباه (انظر: تفسير البغوي ٣/١٢٧)

[3] أي شركا صغيرا أو كبيرا. إذ النكرة في سياق النهي تفيد العموم

[4] أي من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم. والإملاق مصدر من قول القائل : أملقت من الزاد, فأنا أُملق إملاقا, وذلك إذا فني زاده, وذهب ماله, و أفلس (انظر: تفسير الطبري ١٢/٢١٥)

[5] كان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية, ولا يرون به بأسا في السر, فحرم الله تعالى بالزنا في العلانية والسر (انظر: تفسير الطبري ١٢/٢١٩)

[6] كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس, والثيب الزاني, والمارق من الدين التارك للجماعة". متفق عليه

تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[1] حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ[2] وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا[3] وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى[4] وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[5] ١٥٢ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ[6] ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣}

[الأنعام ١٥١-١٥٣]

---

[1] أي إلا بما فيه صلاحه وتثميره

[2] الأشُد جمع شَد. والشد القوة, وهو استحكام قوة شبابه وسنه (انظر: تفسير الطبري ١٢/٢٢٢)

[3] وذلك أن الله جل ثناؤه علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له. فأمر المعطي بإيفاء رب الحق حقه الذي هو له, ولم يكلفه بالزيادة, لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها. وأمر الذي له الحق بأخذ حقه, ولم يكلفه الرضا بأقل منه, لما في النقصان عنه من ضيق نفسه. فلم يكلف نفسا منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق (انظر: تفسير الطبري ١٢/٢٢٥)

[4] أي ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة

[5] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب, لم ينسخهن شيء. وهن محرمات على بني آدم كلهم. وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة, ومن تركهن دخل النار (انظر: تفسير البغوي ٢/١٧١)

[6] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا, ثم قال: "هذا سبيل الله". ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله, ثم قال: "هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه".

قال ابن مسعود : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه, فليقرأ قوله تعالى : {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} إلى قوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ}[1][2]

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف[3] النبي صلى الله عليه وسلم على حمار[4] فقال لي : "يا معاذ, أتدري ما حق الله على العباد[5]؟ وما حق العباد على الله[6]؟". قلت : الله ورسوله أعلم.

ثم قرأ : (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ) [الأنعام : ١٥٣]. رواه أحمد و ابن ماجه وصححه أحمد شاكر

[1] رواه الترمذي, وقال : حسن غريب, وضعفه الألباني.

[2] لأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الوصية وختم عليها وأوصى بها. فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص إلا بكتاب الله كما قال صلى الله عليه وسلم : "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به, كتابُ الله". رواه مسلم

[3] الرديف : الراكب خلف الراكب بإذنه. وأصله من الركوب على الردف وهو العجُز (انظر: فتح الباري لابن حجر ٣٩٨/١٠, شرح صحيح مسلم ٢٣٠/١)

[4] وفي رواية : يقال له : عُفَير. متفق عليه

[5] معناه : ما يستحقه عليهم متحتما عليهم

[6] وهو حق تفضل من الله تعالى لا حتم

قال : "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا[1]، وحق العباد على الله[2] أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا[3]". قلت : يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟. قال : "لا تبشِّرهم فيتكلوا[4]". أخرجاه في الصحيحين.

---

[1] فعدم الشرك عُطف على العبادة لأنه من تمام التوحيد وتحقيقه ومقتضاه

[2] قال القرطبي : حق العباد على الله ما وعدهم به من الثواب والجزاء. فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق. وقوله الحق الذي لا يجوزعليه الكذب في الخبرولا الخلف في الوعد, فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بحكم الأمر, إذ لا آمر فوقه, ولا حكم للعقل, لأنه كاشف لا موجب (انظر: فتح الباري لابن حجر ٣٣٩/١١)

[3] والمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الإيمان به. و اقتصارنفي الشرك يستدعي التوحيد و إثبات الرسالة. هذا مثل قول القائل : من توضأ صحت صلاته, أي مع سائر الشر ائط

[4] وهو الاعتماد على الشهادة المجردة ولا يشتغلون بالأعمال الصالحة. وفي رو اية : ينكلوا من النكول وهو الامتناع يعنى يمتنعوا من العمل اعتمادا بقول لا إله إلا الله ومحمد رسول الله

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية : أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه[1].

الثالثة : أن من لم يأت به, لم يعبد الله. ففيه معنى قوله : {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون : ٣]

الر ابعة : الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة : أن دين الأنبياء واحد.

السابعة : المسألة الكبيرة : أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت. ففيه معنى قوله : {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} [البقرة : ٢٦٥]

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله[2].

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل. أولها : النهي عن الشرك.

---

[1] بين الأنبياء و أقوامهم, لأن الكفار كانوا مقرين بتوحيد الربوبية, قال الله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ) [الزخرف : ٨٧], وقال تعالى : (وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ) [النحل : ٥١]

[2] وهو راض. أما مع عدم الرضا كعيسى والملائكة ليس بطاغوت

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الإسراء. وفيها ثمانية عشر مسألة[1] بدأها الله بقوله : {لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً} [الإسراء : ٢٢], وختمها بقوله : {وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً[2]} [الإسراء : ٢٩]. ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} [الإسراء : ٣٩]

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة, بدأها الله تعالى بقوله : {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} [النساء : ٣٦]

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته.

الثالثة عشرة : معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

---

[1] هكذا في الأصل. والصواب : ثماني عشرة مسألة

[2] أي مطرودا كما قاله ابن عباس وقتادة (انظر : تفسير ابن كثير ٥/٧٧)

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم "الله ورسوله أعلم"[1].

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادي والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار، مع الإرداف عليه.

الثاني والعشرون : جواز الإرداف على الدابة[2].

الثالث والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل.

الرابع والعشرون : عظم شأن هذه المسألة[3].

باب (١) فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب

وقول الله تعالى : {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ[4]} [الأنعام : ٨٢].

---

[1] وهذا فيما يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم من مسائل الشرع, وما أطلعه الله عليه من الغيب, وما في حياته. أما ما لم يطلعه الله عليه صلى الله عليه وسلم من الغيوب, وما بعد وفاته, فإنما يقال : الله أعلم

[2] في إحدى النسخ الخطية زيادة : إذا كانت تطيق ذلك

[3] في إحدى النسخ الخطية : مسائل

[4] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) [الأنعام : ٨٢], شق ذلك على المسلمين, فقالوا : يا رسول الله, أينا لا يظلم نفسه؟ قال : "ليس ذلك. إنما هو الشرك. ألم

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شهد أن لا إله إلا الله[1] وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته[2] ألقاها

تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: (يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ) [لقمان: ١٣]. متفق عليه

[1] أي من تكلم بهذه الكلمة عارفا لمعناها, عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا, كما دل عليه قوله: (فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) [محمد: ١٩], وقوله: (إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ) [الزخرف: ٨٦]. أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها, فإن ذلك غير نافع بالإجماع. وفي الحديث ما يدل على هذا, وهو قوله: من شهد, إذ كيف يشهد وهو لا يعلم. ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به (انظر: تيسير العزيز الحميد ٥٢/١). ومعنى الإله هو المعبود الذي يطاع. فلا يعصى خشية وإجلالا ومهابة ومحبة ورجاء وتوكلا ودعاء. والمعاصي كلها قادحة في هذا التوحيد, لأنها إجابة لداعي الهوى وهو الشيطان, قال الله تعالى: (أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ) [الجاثية: ٢٣], قال الحسن وغيره: هو الذي لا يهوى شيئا إلا ركبه. فهذا ينافي الاستقامة على التوحيد (انظر: جامع العلوم والحكم ٥٠٩/١)

[2] قال الهروي: سمي كلمة لأنه كان عن الكلمة فسمي بها, كما يقال للمطر رحمة (انظر: شرح صحيح مسلم ٢٢٧/١)

إلى مريم وروح منه[1]، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل[2]". أخرجاه.

ولهما في حديث عتبان : "فإن الله حرم على النار[3] من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله".

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قال موسى : يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله. قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري[4] والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله[5]".

---

[1] أي روح مخلوقة من عند الله تعالى. فهذه الإضافة للتشريف كناقة الله وبيت الله

[2] هذا محمول على إدخاله الجنة في الجملة. فإن كانت له معاص من الكبائر, فهو في المشيئة, فإن عذب, ختم له بالجنة (انظر: شرح صحيح مسلم ١/٢٢٧)

[3] والمراد بتحريم النار تحريم الخلود, خلافا للخوارج والمعتزلة

[4] أي من الملائكة العباد. وعامر الشيء حافظه ومصلحه ومدبره الذي يمسكه من الخلل. ولذلك سمي ساكن البلد والمقيم به عامرَه من عمّرتَ المكان إذا أقمتَ فيه (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/١٦٠٠)

[5] وعن عبد الله عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن نوحا - عليه السلام - قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا الله, فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وُضعن في كفة ووضعت لا إله إلا الله

رواه ابن حبان والحاكم وصححه[1].

وللترمذي وحسنه[2] عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"[3].

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله.

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة : تفسير الآية (٨٢) التي في سورة الأنعام.

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

في كفة, لرجحت بهن لا إله إلا الله. ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله". رواه أحمد وصححه أحمد شاكر

[1] وضعفه الألباني, ووا فقه شعيب الأرناؤوط

[2] وكذا رواه أحمد

[3] فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبُه, أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة وخشية ورجاء وتوكلا. وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر. وربما قلبتها حسنات (انظر: جامع العلوم والحكم ٢/٤١٧)

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده، تبين لك معنى قول "لا إله إلا الله"، وتبين لك خطأ المغرورين[1].

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان[2].

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله.

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه[3].

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات[4].

الحادية عشرة : أن لهن عمارا.

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافا للأشعرية[5].

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان : "فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله", أن ترك الشرك ليس قولها باللسان[6].

---

[1] بقولهم : إن التوحيد قول فقط, ولا يشترط له الاعتقاد

[2] وهو الإخلاص لا مجرد القول لقوله صلى الله عليه وسلم : "يبتغي بذلك وجه الله", لأن المنافقين كانوا يقولونها بألسنتهم ولا تنفعهم

[3] لأنه لم يحقق معناها ومقتضاها وشروطها

[4] كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه, وقوله تعالى : (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ) [الطلاق : ١٢]

[5] في إحدى النسخ المطبوعة : خلافا للمعطلة

[6] بل يشترط فيه الاعتقاد. وكذا يشترط ترك الشرك كما سبق

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه.

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه.

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة : معرفة قوله : "على ما كان من العمل".

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان[1].

العشرون : معرفة ذكر الوجه.

---

[1] أي ميزان حقيقي, وليس مجازيا كما تقول المعتزلة

باب (٢) من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب[1]

وقول الله تعالى : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً[2] قَانِتاً[3] لِلَّهِ حَنِيفاً[4] وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}]النحل : ١٢٠[

وقال : {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون : ٥٩]

عن حُصين بن عبد الرحمن قال : "كنت عند سعيد بن جُبير فقال : أيُّكم رأى الكوكب الذي انقضّ[5] البارحة[6]؟ فقلت : أنا، ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغتُ[7]. قال : فما صنعت؟ قلت :

---

[1] وهذا الباب أخص من الباب السابق

[2] أي الإمام الذي يقتدى به (انظر: تفسير ابن كثير ٤/٦١١) ولفظ الأمة في القرآن يأتي على معان أحدها : الإمام كما في هذه الآية. والثاني : الزمن, كقوله تعالى : (وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ) [يوسف : ٤٥]. والثالث : الطائفة, كقوله تعالى : (وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ) [النحل : ٣٦]. والرابع : الملة, كقوله تعالى : (إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ) [الأنبياء : ٩٢]

[3] والقانت هو الخاشع المطيع (انظر: تفسير ابن كثير ٤/٦١١)

[4] والحنيف المنحرف قصدا عن الشرك إلى التوحيد. ولهذا قال : (وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ) (انظر: تفسير ابن كثير ٤/٦١١)

[5] أي سقط

[6] البارحة هي أقرب ليلة مضت

[7] بأن تأبُره العقرب بشوكتها

ارتقيت[1]. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدّثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بُريدة بن الخُصَيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حُمة[2]". قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع[3]. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عُرضتْ عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط[4], والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد. إذ رُفع لي سواد عظيم[5]

---

[1] قيل: لم يُوجد هذا اللفظ. ووجد لفظ: استرقيت أي طلب الرقية (انظر: فتح الرب الحميد ص ٥٤)

[2] الحُمة هي سم ذوات السموم كالعقرب وشبهها. قال الخطابي: "وليس في هذا نفي جواز الرقية في غيرهما من الأمراض والأوجاع. لأنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رقى بعض أصحابه من وجع كان به, وقال للشفاء: علّمي حفصة رقية النملة. و إنما معناه أنه لا رقية أولى و أنفع من رقية العين والسم. وهذا كما قيل: لا فتى إلا علي, ولا سيف إلا ذو الفقار". وقال أيضا: "فأما الرقى فالمنهي عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب, فلا يدرى ما هو, ولعله قد يدخله سحرا أو كفرا. فأما إذا كان مفهوم المعنى, وكان فيه ذكر الله تعالى, فإنه مستحب متبرك به". (انظر: معالم السنن ٤/٢٢٦)

[3] أي من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد أحسن. لأنه أدى بما وجب وعمل بما بلغه من العلم, بخلاف من يعمل بجهل, أو لا يعمل بما يعلم, فإنه مسيء آثم (انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٧٩)

[4] الرهط: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة

[5] أي أشخاص كثيرون

فظننت أنهم أمتي، فقيل لي : هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي : هذه أمتك[١]، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب". ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس[٢] في أولئك؛ فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا. وذكروا أشياء. فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال : "هم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يكتوون[٣]، ولا يتطيرون[٤]، وعلى ربهم يتوكلون[٥]". فقام عكاشة بن محصن فقال

---

[١] أي أمة الإجابة وأمة الاتباع. لأن أمة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنواع : أمة الدعوة, وأمة الإجابة, وأمة الإتباع. فالأولى من بعث النبي صلى الله عليه وسلم إليهم. والثانية هم المسلمون. والثالثة هم أهل الطاعة والعمل الصالح

[٢] أي تكلموا وتناظروا في شأنهم

[٣] والمراد مَن تركها توكلا على الله تعالى, ورضاء بقضائه وبلائه. وهذه من أرفع درجات المحققين بالإيمان (انظر: شرح صحيح مسلم ٣/٩٠)

[٤] وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير. فإذا خرج أحدهم لأمر, فإن رأى الطير طار يمنة, تيمن به واستمر. وإن رآه طار يسرة, تشاءم به ورجع

[٥] التوكل : صدق الاعتماد على الله مع أخذ الأسباب

: ادع الله أن يجعلني منهم. قال : "أنت منهم". ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم. فقال : "سبقك بها عكاشة[1]."[2]

فيه مسائل :

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية : ما معنى تحقيقه[3].

الثالثة : ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة : حرصهم على الخير.

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية[4].

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى.

---

[1] قيل : قد يكون سبق عكاشة بوحي أنه يجاب فيه, ولم يحصل ذلك للآخر. وهذا هو الأظهر المختار (انظر: شرح صحيح مسلم ٣/٨٩)

[2] رواه البخاري ومسلم وأحمد و أبو داود والترمذي و ابن ماجه

[3] بأن يتخلص من شوائب الشرك والبدع والمعاصي كما سبق

[4] بأن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عذاب

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه -عليه الصلاة والسلام-.

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة : قلة مَن استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة[1]، وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحُمة.

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : "قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا" فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني[2].

الثامنة عشرة : بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة : قوله : "أنت منهم" عَلم من أعلام النبوة.

العشرون : فضيلة عكاشة.

---

[1] لأن الكثرة لا تدل على الحق عند الإطلاق, بل ذكر هذا اللفظ في القرآن في سياق اللوم والذم. قال الله تعالى : (بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ) [البقرة : ١٠٠], وقال تعالى : (بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ) [الأنبياء : ٢٤], وقال تعالى : (وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ) [المؤمنون : ٧٠], وقال تعالى : (وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ) [آل عمران : ١١٠], وقال تعالى : (وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ) [المائدة :]

[2] لأن الحديث الأول في الرقية, والثاني في طلبها. فطلب الرقية جائز, ولكنه يقدح في كمال التوحيد (انظر: فتح الرب الحميد ص ٦٢)

الحادية والعشرون : استعمال المعاريض[1].

الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم[2].

باب (٣) الخوف من الشرك[3]

وقول الله : {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء : ٤٨]

---

[1] أي عدم التصريح في الكلام

[2] في كلام النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل قيل : كان منافقا وقيل : كان سعد بن عبادة : سبقك عكاشة, ولم يقل : لست منهم

[3] نبه المصنف بهذه الترجمة على أنه ينبغي للمؤمن الموحد أن يجعل الخوف من الشرك نصب عينيه. لأنه أعظم ذنب عُصي الله به. ومن لا يعرف الشرك, وقع فيه. لذا قال حذيفة رضي الله عنه : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير, وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. متفق عليه (انظر: فتح الرب الحميد ص ٦٤). قال ابن تيمية : "من لم يعرف إلا الخير, فقد يأتيه الشر, فلا يعرف أنه شر. فإما أن يقع فيه, وإما أن لا ينكره كما أنكره الذي عرفه. ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية". (انظر: الفتاوى الكبرى ٢٦٤/٥, مجموع الفتاوى ٣٠١/١٠)

وقال الخليل عليه السلام : {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ[1]}

[إبراهيم : ٣٥]

[1] الأصنام جمع صنم. والصنم هو التمثال المصور أو المنحوت على خلقة البشر. وما كان منحوتا على غير خلقة البشر فهي أوثان (انظر: تفسير الطبري ١٧/٧, تفسير ابن عطية ٣٤١/٣). وذكر بعد هذه الآية لتعليل دعائه : (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ) [إبراهيم : ٣٦]. قال القرطبي : أسند الإضلال إلى الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل, لأنها سبب لضلالهم فكأنها أضلتهم. وهذه الجملة تعليل لدعائه لربه (انظر: فتح القدير ١٣٤/٣)

وفي الحديث : "أخوف ما أخاف عليكم : الشرك الأصغر"، فسئل عنه، فقال : "الرياء[1]". رواه أحمد والطبراني[1] والبيهقي[2].

---

[1] الرياء مصدر راءى من الرؤية, وهي أن يُري غيره خلاف ما هو عليه (انظر: لسان العرب في مادة رأي). وشرعا أن يفعل الطاعة ويترك المعصية مع ملاحظة غيره الله, أو يخبر بها, أو يحب أن يطلع عليها لمقصد دنيوي من مال أو نحوه (انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام ٢/٦٦٠).

فائدة : الرياء على ثلاثة أقسام : الأول : أن يكون العمل رياء محضا. والثاني : أن يكون العمل لله ورياء مشاركا في الأصل. والثالث : أن يكون العمل لله أصلا ثم طرأت عليه الرياء. فالأول لا يشك مسلم أنه حابط عمله, وصاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة كحال المنافقين. قال الله تعالى : (إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلا) [النساء : ١٤٢]. أما الثاني فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضا. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملا أشرك فيه معي غيري, تركته وشركه". ولا عرف عن السلف في هذا خلاف, وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين. فإن خالط نيةَ الجهاد مثلا نيةُ غير الرياء مثل أخذه أجرة للخدمة, أخذ شيء من الغنيمة, أو التجارة, نقص بذلك أجر جهادهم, ولم يبطل بالكلية. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة, إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة, ويبقى لهم الثلث. وإن لم يصيبوا غنيمة, تم لهم أجرهم". ومن أراد بجهاده عرضا من الدنيا, فلا أجر له". وأما الثالث فله حالتان : الحالة الأولى : إن كان خاطرا ودفعه, فلا يضره بلا خلاف. والحالة الثانية : إن استرسل معه, ففيه تفصيل : إن كان العمل يرتبط

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من مات وهو يدعو[3] من دون الله ندا[4] دخل النار[5]". رواه البخاري.

آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج,ف فالراجح أن عمله لا يبطل بذلك, وأنه يجازى بنيته الأولى. وإن كان العمل لا يرتبط آخره بأوله كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم, فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه, ويحتاج إلى تجديد نية (انظر: جامع العلوم والحكم ١/٨٤-٨٩)

[1] في المعجم الكبير, وهو معجم أسماء الصحابة وتراجمهم وما رووه, لكن ليس فيه مسند أبي هريرة, ولا استوعب حديث الصحابة المكثرين. ومن مصنفاته المعجم الصغير في مجلد عن كل شيخ حديث, والمعجم الأوسط على مشايخه المكثرين, وغرائب ما عنده عن كل واحد (انظر: فتح الرب الحميد ٦٧-٦٨)

[2] في شعب الإيمان

[3] بدعاء عبادة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "الدعاء هو العبادة". رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وصححه الألباني. وكذا دعاء مسألة إذا كان المدعو ميتا أو غائبا. أما إذا كان المدعو حيا قادرا على ذلك فليس بشرك لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "ومن دعاكم فأجيبوه". رواه أبو داود وصححه الألباني

[4] الند : المثل والنظير

[5] لأنه شرك أكبر مخرج عن الملة. قال الله تعالى : (وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا) [الجن : ١٨], وقال تعالى : (وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) [يونس : ١٠٦]

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار".

فيه مسائل :

الأولى : الخوف من الشرك.

الثانية : الرياء من الشرك.

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة : قرب الجنة والنار[1].

السادسة : الجمع بين قربهما[2] في حديث واحد.

السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام[3].

---

[1] إذ لا يمنع المرء عن الجنة والنار إلا الموت كما في حديث جابر السابق

[2] في إحدى النسخ الخطية : الجمع بينهما

[3] كان إبراهيم التيمي يقص ويقول : من يأمن البلاء بعد إبراهيم خليل الرحمن؟ (انظر: التفسير الوسيط ٣/٣٣)

التاسعة : اعتباره بحال الأكثر لقوله : {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ} [إبراهيم : ٣٦]

العاشرة : فيه تفسير "لا إله إلا الله"، كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك.

باب (٤) الدعاء إلى شهادة[١] أن لا إله إلا الله

وقوله تعالى : {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ[٢] أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف : ١٠٨]

---

[١] الشهادة : قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة (انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٦٥)

[٢] البصيرة : هي المعرفة التي يميزبها بين الحق والباطل (انظر: تفسير البغوي ٥١٨/٢)

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن[1] قال له : "إنك تأتي قوما من أهل الكتاب[2]، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله"[3] .

وفي رواية : "إلى أن يوحدوا الله"[4]. فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة.

---

[1] في سنة عشر قبل حج النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه دليل على قبول خبر الواحد ووجوب العمل به

[2] أي من اليهود والنصارى. لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب. قال ابن حجر: هذا كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهلَ علم في الجملة. فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان (انظر: فتح الباري لابن حجر ٣٥٨/٣)

[3] متفق عليه. وكيفية الدعوة إلى الإسلام باعتبار أصناف الخلق في الاعتقادات. فلما كان إرسال معاذ إلى من يقر بالإله والنبوات وهم أهل الكتاب, أمره بأول ما يدعوهم إلى توحيد الإله والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فإنهم وإن كانوا يعترفون بإلهية الله تعالى, ولكن يجعلون له شريكا, لدعوة النصارى أن المسيح ابن الله, ودعوة اليهود أن عزيرا ابن الله, سبحانه عما يصفون, وأن محمدا ليس برسول الله أصلا, أو أنه ليس برسول إليه, على اختلاف آرائهم في الضلالة. فكان هذا أول واجب يُدعون إليه". (انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٣٥/٨)

[4] وأشار المصنف رحمه الله بإيراد هذه الرواية إلى التنبيه على معنى شهادة أن لا إله إلا الله, إذ معناها توحيد الله بالعبادة, وترك عبادة ما سواه (انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٩٧)

فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة[1] تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم[2]. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[3]". أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر[4]: "لأعطين الراية[5] غدا رجلا يحب الله ورسوله

---

[1] والمراد بها الزكاة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠]

[2] أي نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها. والكرائم جمع كريمة, وهي جامعة الكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة أو كثرة لحم أو صوف. وفيه أنه يحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة, بل يأخذ الوسط. ويحرم على رب المال إخراج شر المال (انظر: شرح صحيح مسلم ١/١٩٧)

[3] كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوة المظلوم مستجابة. وإن كان فاجرا, ففجوره على نفسه". رواه أحمد والطيالسي, حسنه ابن حجر في الفتح وصححه الألباني في الصحيحة

[4] أي يوم غزوة خيبر. وكانت في السنة السابعة من الهجرة (انظر: تاريخ الطبري ٣/٩)

[5] الراية بمعنى اللواء, وهو العلَم الذي في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش. وقد يحمله أمير الجيش, وقد يدفعه لمقدم العسكر. وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما (انظر: فتح الباري لابن حجر ٧/٤٧٧)

ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه". فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم أيهم يُعطاها. فلما أصبحوا غدوا[2] على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: "أين علي بن أبي طالب؟" فقيل: هو يشتكي عينيه[3]. فأرسلوا إليه فأتي به[4]، فبصق في عينيه, ودعا له, فبرأ كأن لم يكن به وجع.

فأعطاه الراية فقال: "انفُذْ[5] على رِسلك[6] حتى تنزل بساحتهم[7]، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمر النَعم[8]."

---

[1] أي يخوضون. يقال: وقع الناس في دَوكة ودُوكة أي في خوض واختلاط (انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/١٤٠)

[2] أي ذهبوا في الصبح

[3] أي من الرمَد. والرمد وجع العين وانتفاحها

[4] والذي أتى به هو سلمة بن الأكوع كما في رواية مسلم أنه قال: فجئتُ به أقوده وهو أرمد, حتى أتيت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

[5] أي امض وامش إليهم

[6] والرِسل: الرفق والتُؤَدة

[7] الساحة: الناحية وفضاء بين دور الحي (انظر: القاموس المحيط مادة سَاحَ)

[8] وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء. وأنه ليس هناك أعظم منه. وفيه بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الإفهام, وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تُصورت (انظر: شرح صحيح مسلم ١٧٩/١٥)

يدوكون أي يخوضون.

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثانية : التنبيه على الإخلاص، لأن كثيرا لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه الله تعالى عن المَسبّة[1].

الخامسة : أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

السادسة : وهي من أهمها : إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك.

السابعة : كون التوحيد أول واجب.

الثامنة : أنه يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة : أن معنى : "أن يوحدوا الله" معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

العاشرة : أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج.

---

[1] أي عن مشابهة المخلوقين

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة : الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة : قوله : "لأعطين الراية ... إلخ" علم من أعلام النبوة.

العشرون : تفلُه في عينيه علم من أعلامها أيضا.

الحادية والعشرون : فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دَوكهم تلك الليلة وشُغلهم عن بِشارة الفتح.

الثالثة والعشرون : الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعِها عمن سعى.

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : "على رسلك".

الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الله إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقُوتلوا.

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة لقوله : "أخبرهم بما يجب".

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله في الإسلام.

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون : الحلف على الفُتيا.

باب (٥) تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله[١]

وقول الله تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ[٢] أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ[٣] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً[٤]} [الإسراء : ٥٧]

---

[١] هذا من باب المترادفات. والعلاقة بينهما علاقة الدال بالمدلول. فالتوحيد يدل على شهادة أن لا إله إلا الله. وقد تقدم ذكر معنى لا إله إلا الله, ولكنه في هذا الباب يبين ما دلت عليه لا إله إلا الله (انظر: فتح الرب الحميد ص ٩٢)

[٢] ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب من يتوسل به, أي يتوصل ويتقرب به إليه سبحانه, سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر, أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبةً إليه في جلب المنافع ودفع المضار (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٣١٢)

[٣] ولا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء. فبالخوف ينكفّ عن المناهي, وبالرجاء ينبعث على الطاعات (انظر: تفسير ابن كثير ٥/٨٩)

[٤] أي متقى. اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية. قال ابن تيمية : "قالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون عزيرا والمسيح والملائكة,

وقوله : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف : ٢٦-٢٨]

وقوله : {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ[1] وَرُهْبَانَهُمْ[2] أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ[3]} [التوبة : ٣١]

فأنزل الله تعالى هذه الآية, بين فيها أن الملائكة والأنبياء يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه". (انظر: التدمرية ص ١٩٨, قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢٣). وقال أيضا : "وبين الله تبارك وتعالى إن هؤلاء عباده كما أنتم عباده, يرجون رحمته كما ترجون رحمته, ويخافون عذابه كما تخافون عذابه, ويتقربون إله كما تتقربون إليه". (انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٥٩/١). وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية أنه قال : "كان نفر من الجن أسلموا, وكانوا يُعبدون, فبقي الذين كانوا يَعبدون على عبادتهم, وقد أسلم النفر من الجن".متفق عليه. واختاره الطبري. وروي عن أيضا : نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون الملائكة. وروي عن ابن عباس : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون عيسى وأمه وعزيرا (انظر: تفسير الطبري ٤٧٢/١٧, وتفسير ابن كثير ٨٨/٥) ويحتمل أن الآية نزلت في الجميع, وصحح ذلك بعضهم (انظر: فتح الرب الحميد ص ٩٥)

[1] أي اتخذوا اليهود أحبارهم وهم العلماء (انظر: تفسير الطبري ٢٠٨/١٤)

[2] أي اتخذوا النصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم (انظر: تفسير الطبري ٢٠٩/١٤)

[3] فسره النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه في قوله : "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم, ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه,

وقوله : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً[1] يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ} [البقرة : ١٦٥]

وفي الصحيح[2] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه[3]، وحسابه على الله[4]."

وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه". رواه الترمذي, وحسنه الألباني في الصحيحة. قال ابن تيمية : "فمن أطاع أحدا في دين لم يأذن به الله من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب, فقد لحقه من هذا الذم نصيب, كما يلحق الآمرَ الناهيَ أيضا نصيب". (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٨٤/٢)

[1] الأنداد جمع نِد بالكسر, وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويخالفه. ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله (انظر: النهاية في غريب الحديث ٣٥/٥)

[2] أي صحيح مسلم

[3] قال الخطابي : "إنما هم أهل الأوثان دون أهل الكتاب. لأنهم يقولون لا إله إلا الله, ثم أنهم يقاتَلون, ولا يُرفع عنهم السيف". (انظر: معالم السنن ١١/٢). وقال القاضي عياض : "اختصاص عصمة المال والنفس ذلك بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان. وأن المراد بهذا مشركوا العرب, وأهل الأوثان, ومن لا يقر بالخالق لا يوحده. وهم كانوا أول من دُعي إلى الإسلام وقُوتل عليه. فأما غيره ممن يقر بالتوحيد والخالق, فلا يُكتفى في عصمة دمه بقوله لا إله إلا الله. إذ كان يقولها في كفره, وهي من اعتقاده". (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٤٦/١)

[4] وفي دليل أن الكافر المستسر بكفره, لا يُتعرض له إذا كان ظاهره الإسلامَ, ويُقبل توبته إذا أظهر الإنابة من كفر عُلم بإقراره أنه كان يستسر به, وهو

وشرح هذه الترجمة : ما بعدها من الأبواب . فيه أكبر المسائل وأهمها, وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة[1]؛ وبيّنها بأمور واضحة.

منها : آية الإسراء[2] بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها : آية براءة[3]، بيّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعةُ العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها : قول الخليل عليه السلام للكفار: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} [الزخرف : ٢٦], فاستثنى من المعبودين ربه. وذكر

قول أكثر العلماء (انظر: معالم السنن ٢/١١). قال ابن عبد البر: "فإن كان ذلك صادقا من قلبه يبتغي به وجه الله, دخل الجنة. ومن خادع بها فهو منافق في الدرك الأسفل من النار. ولا يجوز قتله مع إظهاره الشهادة". وقال أيضا : "وأجمعوا أن أحكام الدنيا على الظاهر, وإلى الله عزوجل السرائر". (انظر: الاستذكار ٢/٣٥٧-٣٥٩)

[1] تفسير الشهادة يتضمن أمرين : أحدهما النطق باللسان. والثاني الإقرار بالقلب

[2] هي : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً) [الإسراء : ٥٧]

[3] هي : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) [التوبة : ٣١]

سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله, فقال : {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف : ٢٨][1]

ومنها : آية البقرة[2] في الكفار الذين قال الله فيهم : {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة : ١٦٧], ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله, فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم في الإسلام. فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله". وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله. فإن شك أو

---

[1] أي أن كلمة التوحيد تتضمن ركنين : أحدهما نفي الألوهية عن غير الله تعالى, والثاني إثبات الألوهية لله وحده

[2] هي : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ) [البقرة : ١٦٥]

توقف, لم يحرم ماله ودمه. فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلّها! وياله من بيان ما أوضحه! وحجةٍ ما أقطعها للمنازع!

باب (٦) من الشرك[١] : لبس الحَلقة[٢] والخَيط[٣] ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه[٤]

[١] أي من الشرك الأصغر أو الأكبر. فإن اعتقد لابسها أنها سبب لرفع البلاء أو دفعه, فهذا شرك أصغر. وإن اعتقد أنها ترفع البلاء أو تدفعه بذاتها, فهذا شرك أكبر

[٢] الحلقة هي آلة مستديرة تكون من حديد أو فضة أو نحاس تُلبس حول العنق أو اليد أو نحوه

[٣] سواء كان من قطن أو كتان أو صوف أو حرير أو نحوه

[٤] ومناسبة هذا الباب بما قبله أن الشيء يُعرف بأحد اعتبارين : بيان حقيقته وبيان ضده. فلما ذكر المصنف ما قبل هذا الباب بالاعتبار الأول, ذكر المصنف هذا الباب بالاعتبار الثاني

قول الله تعالى : {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ[1] قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ[2]} [الزمر: ٣٨]

عن عمران بن حصين رضي الله عنه : "أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صُفْر[3] فقال : "ما هذه؟"[4] قال : من

---

[1] وتُرك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك, ودلالةِ ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى : فإنهم سيقولون : لا (انظر: تفسير الطبري ٢٩٦/٢١)

[2] قالت طائفة من العلماء : الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد, ومحو الأسباب أن تكون أسبابَ نقص في العقل. والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع (انظر: مجموع الفتاوى ٣٥/١٠)

[3] أي من نحاس

[4] هذا السؤال يحتمل الإنكار, ويحتمل الاستفصال. والأول أظهر (انظر: فتح الرب الحميد ص ١٠٩)

الواهنة[1]. فقال : "انزِعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنا[2]. فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا". رواه أحمد بسند لا بأس به[3].

وله عن عقبة بن عامر مرفوعا : "من تعلق تميمة[4] فلا أتم الله له، ومن تعلق وَدَعة[5] فلا ودع الله[6] له".[7] وفي رواية : "من تعلق تميمة فقد أشرك".[8]

---

[1] الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها, فيُرقى منها. وقيل : هو مرض يأخذ في العضد. وربما عُلق عليها جنس من الخرز. يقال لها : خرز الواهنة. وهي تأخذ الرجال دون النساء. و إنما نهاه عنها, لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم. فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها (انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/٢٣٤)

[2] أي ضعفا

[3] ورواه ابن ماجه, وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة

[4] هي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم, فأبطلها الإسلام (انظر: النهاية في غريب الحديث ١/١٩٧)

[5] الودَع جمع ودَعَة. وهو شيء أبيض يُجلب من البحر, يُعلق في حلوق الصبيان وغيرهم. و إنما نهى عنها لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين (انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/١٦٨)

[6] أي لا جعله في دَعَة وسكون. وقيل : هو لفظ مبني من الودعة أي لا يخفف الله عنه ما يخافه (انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/١٦٨)

[7] رواه أحمد, وحسنه شعيب الأرناؤوط, وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة

[8] رواه أحمد. قال شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي

ولابن أبي حاتم عن حذيفة : "أنه رأى رجلا في يده خيط من الحُمّى[1]، فقطعه وتلا قوله : {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف : ١٠٦]

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة[2] أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة[3].

---

[1] وهو مرض يسبب ارتفاع حرارة الجسم

[2] وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه : "لَأن أحلِف بالله كاذبا أحب إليّ من أن أحلف بغيره و أنا صادق". رواه الطبراني وعبد الرزاق و ابن أبي شيبة وصححه الألباني في الإرواء

[3] قال الشيخ العثيمين : "هذا فيه نظر. لأن قوله صلى الله عليه وسلم : "لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا", ليس بصريح أنه لو مات قبل العلم, بل ظاهره "لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا" أي بعد علمت وأُمرت بنزعها. وهذه المسألة تحتاج إلى تفصيل. فنقول الجهل نوعان : جهل يعذر فيه الإنسان, وجهل لا يعذر فيه. فما كان ناشئا عن تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم, فإنه لا يعذر فيه, سواء في الكفر أو في المعاصي. وما كان ناشئا عن خلاف ذلك, أنه لم يمهل ولم يفرط ولم يقم المقتضي للتعلم, بأن كان لم يطرأ على باله أن هذا الشيء حرام, فإنه يعذر فيه. فإن كان منتسبا إلى الإسلام, لم يضره. وإن كان منتسبا إلى الكفر, فهو كافر في الدنيا, لكن في

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر لقوله : "لا تزيدك إلا وهنا".

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئا وُكل إليه.

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة[1].

العاشرة : أن تعليق الودع عن العين من ذلك[2].

الآخرة أمره إلى الله على القول الراجح, يمتحن, فإن أطاع دخل الجنة, وإن عصى دخل النار. فعلى هذا من نشأ ببادية بعيدة ليس عنده علماء, ولم يخطر بباله أن هذا الشيء حرام, أو أن هذا الشيء واجب, فهذا يعذر". (انظر: القول المفيد شرح كتاب التوحيد ١٧٤/١)

[1] وهي قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ١٦٥], قال ابن عباس رضي الله عنهما : "الأنداد هو الشرك, أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظُلمة الليل, وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي, ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص, ولولا البط في الدار لأتى اللصوص, وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت, وقول الرجل : لولا الله وفلان". (انظر: تفسير ابن كثير ١٩٦/١)

[2] أي من الشرك

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أي ترك الله له.

باب (٧) ما جاء في الرقى[١] والتمائم[٢]

في الصحيح[٣] عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه : أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره. فأرسل رسولا[٤] أن لا يبقَيَنّ في رقبة بعير قِلادةٌ من وَتَر[٥]، أو قلادة[٦] إلا قُطعت[٧][٨]."

---

[١] الرقى جمع رقية. والرقية العُوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمَّى والصرع وغير ذلك من الآفات (انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٢٥٤)

[٢] لم يقل المصنف : من الشرك الرقى والتمائم, لأن في الرقى ممنوعا ومشروعا, وفي التمائم ممنوعا ومختلفا فيها كما سيأتي

[٣] أي البخاري ومسلم

[٤] هو زيد بن حارثة

[٥] هو واحد أوتار القوس

[٦] هي للشك أو للتنويع. ووقع في رواية أبي داود عن القعنبي بلفظ : ولا قلادة, وهو من عطف العام على الخاص (انظر: فتح الباري لابن حجر ٦/١٤١)

[٧] تأول مالك بن أنس أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع القلائد على أنه من أجل العين. وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار القلائدَ والتمائم, ويعلقون عليها العوذ, يظنون أنها تعصم من الآفات, فنهاهم النبي عنها, وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئا (انظر: شرح السنة للبغوي ١١/٢٨)

[٨] متفق عليه

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الرقى[١] والتمائم والتولة شرك[٢]".

رواه أحمد و أبو داود[٣].

"التمائم" : شيء يعلق على الأولاد من العين[٤]. لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه[٥].

---

[١] المراد بذلك رقى الجاهلية وما يضاهي السحر من الرقى المكروهة (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤٣١/٩) أو المراد ما كان بأسماء الأصنام والشياطين, لا ما كان بالقرآن ونحوه (انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٣٦٠/٢)

[٢] لأنه قد يفضي إلى الشرك إذا اعتقد أن لها تأثيرا حقيقة. وقيل : المراد الشرك الخفي بترك التوكل والاعتماد على الله (انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٣٦٠/٢)

[٣] وكذا رواه ابن ماجه وصححه الألباني

[٤] في بعض النسخ المطبوعة والمخطوطة : يتقون به العين

[٥] قال الدكتور خالد الجهني : "اختلف السلف في تعليق القرآن على قولين. والصحيح أنه لا يجوز تعليقه لأمرين : الأول لأن النهي عن التعليق عام, ولم يرد دليل يخصص القرآن, فدل على المنع من تعليقه. والثاني لأن تعليق القرآن يفضي إلى تعليق غيره, فمنع منه سدا للذريعة". (انظر: فتح الرب الحميد ص ١٢٢)

و"الرقى" : هي التي تسمى العزائم. وخص منها الدليل ما خلا من الشرك[1], فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحُمة[2].

و"التِوَلة" : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته[3].

---

[1] أي الرقى الشركية. فلا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله وكلامه, فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه. ولحديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا نرقي في الجاهلية فقلنا : يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال : "اعرِضوا علي رقاكم, لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك". رواه مسلم. قال ابن حجر: "وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاث شروط : أحدها أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسماء وصفاته. والثاني أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره. والثالث أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى. واختلفوا في كونها شرطا. والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة". (انظر: فتح الباري ١٠/١٩٥-١٩٦)

[2] كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحُمة والنَملة. رواه مسلم. والنَملة قروح تخرج في الجَنب (انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/١٢٠)

[3] هذا تفسير ابن مسعود رضي الله عنه لما قيل له : يا أبا عبد الرحمن, هذه الرقى والتمائم قد عرفناها,فما التولة؟ قال : شيء يصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن. رواه ابن حبان وصححه الألباني

وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعا : "من تعلق شيئا وُكل إليه". رواه أحمد والترمذي[١].

وروى أحمد[٢] عن رُويفع قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك[٣], فأخبرِ الناس أن من عقد لحيته[٤]، أو تقلد وَتَرا، أو استنجى برجيع[٥] دابة أو عظم، فإن محمدا بريء منه".

وعن سعيد بن جُبير قال : "من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة[٦]". رواه وكيع[٧].

---

[١] وحسنه الألباني

[٢] وكذا رواه أبو داود والنسائي, وصححه الألباني

[٣] قد ظهر مصداق ذلك, فطالت به الحياة حتى مات سنة ٥٣ بإفريقية, وهو آخر من مات بها من الصحابة (انظر: حاشية السيوطي على سنن النسائي ١٣٦/٨)

[٤] لأنها عادة أهل التوضيع والتأنيث. وقيل : كانوا يعقدونها في الحروب, فأمرهم بإرسالها, كانوا يفعلون ذلك تكبرا وعجبا

[٥] الرجيع هو العَذِرة والروث

[٦] أي كمن أعتق رقبة

[٧] وكذا رواه ابن أبي شيبة. وفي سنده الليث بن أبي سليم بن زنيم. قال الحافظ في التقريب : صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك.

وله[1] عن إبراهيم[2] قال: "كانوا[3] يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن".[4]

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتمائم.

الثانية : تفسير التولة.

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء : هل هي من ذلك أوْ لا؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك.

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وترا.

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة : أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.

---

[1] أي لوكيع

[2] هو إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي, ويكنى أبا عمران, وهو من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه

[3] أي عبد الله بن مسعود وأصحابه كعلقمة وغيره

[4] رواه ابن أبي شيبة

باب (٨) من تبرك[1] بشجر أو حجر ونحوهما[2]

[1] التبرك هو ثبات الشيء, ومأخوذ من البركة, وهي الزيادة والنماء. يقال : تبرك بكذا, إذا أقام عنده, وطلب منه العطاء والزيادة (انظر: مقاييس اللغة في مادة برك)

[2] والمراد من هذه الترجمة أن من طلب العطاء والزيادة من شيء لم يأذن فيه الشارع بالإقامة عنده فوقع في الشرك (انظر: فتح الرب الحميد ص ١٢٩)

وقول الله تعالى : {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ[1] وَالْعُزَّى[2] ١٩ وَمَنَاةَ[3] الثَّالِثَةَ[4] الأُخْرَى[5]} [النجم : ١٩-٢٠]

عن أبي و اقد الليثي قال : "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين[6] ونحن حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سِدرة[7]

---

[1] اللات مشتقة من الله سمى المشركون أوثانهم بأسمائه, وقالوا من الله اللات, ومن العزيز العزى, وزعموا أنهن بنات الله. تعالى الله عما يقولون. واختلف القراء في قراءة اللات على قولين : الأول اللات بتخفيف التاء بيت كان بنخلة تعبده قريش. وقيل : كان بالطائف. والثاني اللاتّ بتشديد التاء وجعلوه صفة للوثن الذي عبدوه. وقالوا : كان رجل يلتّ السويق للحاج. فلما مات عكفوا على قبره, فعبدوه. قال الطبري : "وأولى القراءتين بالصواب عندنا في ذلك قراءة من قرأه بتخفيف التاء. لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه". (انظر: تفسير الطبري ٢٢/٥٢٢-٥٢٤)

[2] قيل : كان شجرات يعبدونها. وقيل : كانت العزى حجرا أبيض. وقيل : كان بيتا بالطائف تعبده ثقيف (انظر: تفسير الطبري ٢٢/٥٢٤)

[3] قالت عائشة رضي الله عنها : "كان رجال من الأنصار ممن كان يُهِلّ لمناة. ومناة صنم بين مكة والمدينة". رواه البخاري

[4] الثالثة نعت لمناة

[5] الأخرى نعت للثانية. وقيل : في الآية تقديم وتأخير. مجازها : أفر أيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة (انظر: تفسير الطبري ٢٢/٢٢٥)

[6] كانت غزوة حنين في شوال من السنة الثامنة (انظر: تاريخ الطبري ٣/٧٠)

[7] أي شجرة النبِق

يعكفون[١] عندها وينوطون بها أسلِحتهم[٢] يقال لها ذات أنواط[٣]. فمررنا بسدرة, فقلنا : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الله أكبر! إنها السنن[٤]! قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى : {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف : ١٣٨] لتركَبُنّ سنن من كان قبلكم". رواه الترمذي وصححه.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم.

الثانية : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة : كونهم لم يفعلوا[٥].

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

---

[١] والعكوف هو الملازمة والحبس

[٢] أي يعلقونها بها طلبا للبركة (انظر: النهاية في غريب الحديث ١٢٨/٥)

[٣] أي صاحبة التعاليق. والأنواط جمع نوط, وهو مصدر سمي به المنوط (انظر: النهاية في غريب الحديث ١٢٨/٥)

[٤] بضم السين أي طرقهم ومناهجهم وسبيل أفعالهم, وبفتحها أي على مِنوالهم وطِبق حالهم وشبه قولهم (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢٤٠٤/٨)

[٥] لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عنه وحذرهم منه

الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم الأمر، بل رد عليهم بقوله : "الله أكبر، إنها السنن! لتتبعن سنن من كان قبلكم" فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة : الأمر الكبير، وهو المقصود : أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى : {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً}

التاسعة : أن نفى هذا من معنى "لا إله إلا الله" مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة : أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة : قولهم : "ونحن حدثاء عهد بكفر" فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب، خلافا لمن كرهه.

الرابعة عشرة : سد الذرائع.

الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة : القاعدة الكلية لقوله : "إنها السنن"[1].

---

[1] أي كل سنن وطرق الكفار مذمومة ومنهي عن اتباعها

الثامنة عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة : أن[1] ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر[2]، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما "من ربك؟" فواضح[3]، وأما "من نبيك؟" فمن إخباره بأنباء الغيب[4]، وأما "ما دينك؟" فمن قولهم : "اجعل لنا" إلى آخره[5].

الحادية والعشرون : أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون : أن المنتقِل من الباطل الذي اعتاده قلبُه لا يؤمَن أن يكون في قلبه بقيّة من تلك العادة، لقولهم : "ونحن حدثاء عهد بكفر".

---

[1] في بعض النسخ الخطية : أن كل

[2] أي على التوقيف. ولو كان مبناها على غير التوقيف, لَما احتاجوا إلى سؤاله (انظر: فتح الرب الحميد ص ١٣٨)

[3] أي أنهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي, ولم يعتقدوا في الشجرة أنها تخلق أو تحيي أو تميت (انظر: فتح الرب الحميد ص ١٣٨)

[4] أي أنهم سيتبعون بني إسرائيل. وهذا من الغيب الذي لا يعلم إلا عن طريق الوحي (انظر: فتح الرب الحميد ص ١٣٨)

[5] أي هذا ينافي دين الإسلام. لأن الإسلام يقتضي عدم التفات القلب إلى غير الله تعالى (انظر: فتح الرب الحميد ص ١٣٩)

باب (٩) ما جاء في الذبح[١] لغير الله

وقول الله تعالى : {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[٢] ١٦٢ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ[٣]}[الأنعام : ١٦٢-١٦٣]

وقوله : {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ[٤]} [الكوثر : ٢]

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : "حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : لعن[٥] الله من ذبح لغير الله. لعن الله

---

[١] الذبح لغة الشق. وشرعا قطع الحلقوم من مفصل بين العنق والرأس. والذبح نوعان : ذبح عبادة, وذبح عادة. فالأول يقصد به التقرب إلى المذبوح له وهو الله تعالى. وهو قد يكون مندوبا أووجوبا. والثاني يقصد به نحو الأكل أو الاتجار. وهو مباحا في الأصل. فمن صرف النوع الأول إلى غير الله, فهذا شرك أكبرفي العبادة مخرج عن الملة (انظر: فتح الرب الحميد ص ١٤١)

[٢] قيل : طاعتي في حياتي لله, وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين (انظر: تفسيرالبغوي ١٧٨/٢)

[٣] قال قتادة : أي من هذه الأمة (انظر: تفسيرابن كثير٣٨١/٣)

[٤] أي كما أعطيناك الخيرالكثيرفي الدنيا والآخرة, ومن ذلك النهرالذي تقدم صفته, فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك, فاعبده وحده لا شريك له, وانحر على اسمه وحده لا شريك له (انظر: تفسير ابن كثير ٥٠٢/٨-٥٠٣)

[٥] اللعن هو الطرد والإبعاد. فمن لعنه الله أبعده من رحمته وخُلد في العذاب. والعياذ بالله

من لعن والديه[1]. لعن الله من آوى[2] محدثا[3]. لعن الله من غيّر منار الأرض[4]". رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب[5]". قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال : "مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرّب له شيئا، فقالوا لأحدهما : قرّب. قال : ليس عندي شيء أقرّب. قالوا له : قرب ولو ذبابا. فقرب ذبابا، فخلّوا سبيله. فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب. فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله, فضربوا عنقه. فدخل الجنة" رواه أحمد[6].

---

[1] سواء كان اللعن مباشرة كمن لعن والديه أو أحدهما أو تسببا كمن لعن والدي غيره فيلعنَ والديه

[2] أي من ضم وحمى

[3] أي من جنى على غيره جناية. والمراد به من حماه وحال بينه وبين من يستحق استيفاؤه من قصاص أو عقاب

[4] وفي الحديث عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من اقتطع شبرا من الأرض ظلما, طوّقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرَضين". متفق عليه

[5] أي من أجل ذباب

[6] في الزهد. وكذا رواه البيهقي. قال الألباني : "الحديث صحيح موقوفا على سلمان الفارسي رضي الله عنه إلا أنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان

فيه مسائل :

الأولى : تفسير{إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي} [الأنعام : ١٦٢]

الثانية : تفسير{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ} [الكوثر: ٢]

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة : لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة : لعن من آوى محدثا، وهو الرجل يحدث شيئا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة : لعن من غيّر منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة : الفرق بين لعن المعيّن ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم[1].

الثامنة : هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب[2].

تلقّاها عن أسياده حينما كان نصرانيا". (انظر: السلسلة الضعيفة ١٢/٧٢٢)

[1] فالأول يمتنع, والثاني لا يمتنع كما في الحديث

[2] لأنها سبب دخول الرجل في الجنة أو النار مع قلتها وصغرها

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصا من شرهم[1].

العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يو افقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم. لأنه لو كان كافرا لم يقل : "دخل النار في ذباب".

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله[2]، والنار مثل ذلك"[3].

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم[4]، حتى عند عبدة الأوثان[5].

---

[1] قال الشيخ العثيمين : وهذه المسألة ليست مسلمة. فإن قوله : قرب, ولو ذبابا! يقتضي أن فعله قاصدا التقرب. أما لو فعلها تخلصا من شرهم, فإنه لا يكفر, لعدم قصد التقرب (انظر: القول المفيد ١/٢٢٧)

[2] أي شريط نعله

[3] رواه البخاري. لأنه ذكرت الفاء في الحديث الأول بعد ذكر سبب دخول رجل في الجنة أو النار, وهي تقتضي السرعة

[4] في قولهم : قرب ولو ذبابا! لأنهم لم يريدوا به مجرد العمل الظاهر. بل أرادوا به تعظيم الرجل بأوثانهم

[5] جمع وثن, وهو كل ما عبد من دون الله. وقيل : هو ما كان على غير صورة, بخلاف الصنم. فالوثن أعم من الصنم. فكل صنم وثن بخلاف العكس. وقد

باب (١٠) لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

تطلق الأوثان على الأصنام, لقوله تعالى عن قول إبراهيم : (إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا) [العنكبوت : ١٧], وقوله تعالى عن قول قوم إبراهيم : (قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ) [الشعراء : ٧١]

وقول الله تعالى[1] : {لا تَقُمْ فِيهِ[2] أَبَداً[3] لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى[4] مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}[5] [التوبة : ١٠٨]

---

[1] وجه المناسبة من ذكر هذه الآية تحت هذا الباب أن المصنف قاس النهي من مكان يذبح فيه لغير الله على النهي في المكان الذي نهى الشارع عن الصلاة فيه

[2] أي في مسجد الضرار

[3] أي لا تقم يا محمد في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون ضرارا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (انظر: تفسير الطبري ١٤/٤٧٦)

[4] اللام لام الابتداء. وقيل : لام القسم, تقديره : والله لمسجد بني أصله على التقوى. واختلف العلماء في المسجد الذي يقصده تعالى. قيل أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه في جوف المدينة. قاله عمر ابن الخطاب و ابنه, وزيد بن ثابت, و أبو سعيد الخدري, وسعيد بن المسيب, واختاره ابن جرير الطبري لحديث أبي سعيد الخدري قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه, فقلت : يا رسول الله, أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال : فأخذ كفا من حصباء, فضرب به الأرض, ثم قال : "هو مسجدكم هذا". رواه مسلم. وقيل أنه مسجد قباء. قاله عبد الله بن عباس, وعروة بن الزبير, وسعيد بن جبير, وقتادة رضي الله عنهما, واختاره ابن كثير. (انظر: تفسير الطبري ١٤/٤٧٨ . ٤٧٦, تفسير البغوي ٢/٣٨٨-٣٨٩, تفسير ابن كثير ٤/٢١٢-٢١٦)

[5] وهذه الآية نزلت في أهل قباء لحديث أبي هريرة رضي الله عنه, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "نزلت هذه الآية في أهل قباء : {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : "نذر رجل أن ينحر إبلا ببُوانة[1]، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟". قالوا : لا. قال : "فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟". قالوا : لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم". رواه أبو داود[2]. وإسناده على شرطهما.

أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة : ١٠٨]". قال : كانوا يستنجون بالماء, فنزلت هذه الآية فيهم. رواه الترمذي و ابن ماجه وصححه الألباني. قال ابن كثير: "نهي من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه, والأمة تبع له في ذلك عن أن يقوم فيه أي يصلي فيه أبدا. ثم حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى, وهي طاعة الله وطاعة رسوله وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا وموئلا للإسلام وأهله. ولهذا قال تعالى : {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ}. والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء. ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "صلاة في مسجد قباء كعمرة...". (انظر: تفسير ابن كثير ٤/٢١٢-٢١٣)

[1] وهي بضم الباء. وقيل بفتحها : هضبة من وراء ينبُع (انظر: النهاية من غريب الحديث ١/١٦٤) وقيل : أسفل مكة دون يلملم (انظر: شرح السنة للبغوي ١٠/٣١)

[2] وصححه الألباني

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً} [التوبة : ١٠٨]

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة[١].

الثالثة : رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة، ليزول الإشكال[٢].

الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله.

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة، لأنه نذر معصية.

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة : لا نذر في معصية.

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

---

[١] لأن الله تعالى نهى أن تقام الصلاة في مسجد الضرار لأجل بنائه على الكفر بخلاف مسجد القباء الذي بني على التقوى

[٢] كما سأل الرجل النبيَ صلى الله عليه وسلم في أن ينحر إبلا ببوانة. فهذه مسألة مشكلة. ثم أجابه النبي صلى الله عليه وسلم فصارت المسألة مسألة بينة وزالت المشكلة

باب (١١) من الشرك : النذر[1] لغير الله

وقول الله تعالى : {يُوفُونَ بِالنَّذْرِوَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً[2]} [الإنسان :٧], وقوله: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} [البقرة :٢٧]

---

[1] النذرلغة الإيجاب. وشرعا إلزام مكلف مختارنفسه لله تعالى بالقول شيئا لا يلزم في أصل الشرع. والنذرنوعان : الأول نذرمطلق, كقوله : لله علي أن أصوم أو أصلي. وهذا ممدوح للموفين. قال الله تعالى في وصف الأبرار : (يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ) [الإنسان : ٧]. والثاني نذرمقيد, كقوله : إن نجحت لأن أتصدق بكذا, أوإن شفى الله مريضي أن أصوم ثلاثة أيام. وهذا مكروه. قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الناذربالبخيل : "إنه لا يرد شيئا. و إنما يُستخرج به من البخيل". متفق عليه

[2] أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع. وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر. ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد, وهو اليوم الذي شره مستطيرأي منتشرعام على الناس إلا من رحم الله (انظر: تفسيرابن كثير٨/٢٨٧-٢٨٨)

وفي الصحيح[1] عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من نذر أن يطيع الله فليطعه[2], ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"[3].

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة لله، فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

---

[1] أي صحيح البخاري

[2] النذر في الطاعة واجب الوفاء به عند جماعة الفقهاء لمن قدر عليه, وإن كانت تلك الطاعة قبل النذر غير لازمة له. فنذره لها قد أوجبها عليه, لأنه ألزمها نفسه لله تعالى. فكل من ألزم نفسه شيئا لله, فقد تعين عليه فرض الأداء فيه. وقد ذم الله من أوجب على نفسه شيئا ولم يف به". (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/١٥٦-١٥٧)

[3] رواه البخاري. فيه دليل على أن من نذر طاعة, يلزم الوفاء به, وإن لم يكن معلقا بشيء, وأن من نذر معصية, فلا يجوز له الوفاء به, ولا تلزمه الكفارة به, إذ لو كانت فيه كفارة لأشبه اليمين, وهو قول الأكثرين (انظر: شرح السنة ١٠/٢١)

باب (١٢) من الشرك : الاستعاذة[1] بغير الله

وقول الله تعالى : {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ[2] فَزَادُوهُمْ رَهَقاً[3]} [الجن : ٦]

وعن خولة بنت حَكيم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من نزل مَنزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات[4] من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل[5] من مَنزله ذلك". رواه مسلم[6].

---

[1] الاستعاذة لغة طلب العوذ. وشرعا هي الالتجاء إلى الله تعالى في دفع شر. الاستعاذة نوعان : استعاذة تعبدية وغير تعبدية. فالأول إذا كانت تتضمن التعظيم والخضوع للمستعاذ به. وهي واجبة بالله تعالى. والثاني إذا كانت تجردت من ذلك. وهي جائزة بحاضر قادر, كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من استعاذ بالله فأعيذوه". رواه أبو داود والنسائي وأحمد, وصححه الألباني

[2] في أسفارهم إذا نزلوا منازلهم, فيقول الواحد منهم : "أعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه". (انظر : تفسير الطبري ٦٥٤/٢٣)

[3] أي إثما. فازدادت الجن عليهم بذلك جراءةً, وازداد الإنس بذلك إثما

[4] قيل : أي النافعة الشافية. وقيل : المراد بالكلمات هنا القرآن. وقيل : أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه

[5] أي ينتقل ويذهب

[6] بلفظ : يرتحل

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الجن.

الثانية : كونه من الشرك.

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة, قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك[1].

---

[1] لأنه قد أجرى الله تعالى على أيدي الجن ما يجلب النفع ويدفع الضر للامتحان على عباده بحكمته تعالى

باب (١٣) من الشرك أن يستغيث[1] بغير الله أو يدعو[2] غيره

وقول الله تعالى : {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ[3] ١٠٦ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ[4] وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يونس : ١٠٦-١٠٧]

---

[1] والاستغاثة هي طلب الغوث في إزالة الشدة, فلا تكون إلا في حالة الشدة. قال الله تعالى : (وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ) [القصص : ١٥]. والاستغاثة بالمخلوق نوعان : الاستغاثة فيما يقدر عليه كمن يستغيث بحي قادر, فهذا جائز كما في الدعاء. والثاني الاستغاثة فيما لا يقدر عليه كمن يستغيث بميت أي حي غائب فهذا لا يجوز ويدخل في الشرك لقوله تعالى : (فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا) [الجن : ١٨]

[2] الدعاء هو معهود. وهو أعم من الاستغاثة

[3] أي من المشركين بالله الظالمي أنفسهم (انظر: تفسير الطبري ٢١٩/١٥). قال الله في قول لقمان لابنه : (وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ) [لقمان : ١٣]

[4] هذا بيان, لأن الخير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد. فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له (انظر: تفسير ابن كثير ٣٠٠/٤)

وقوله : {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت : ١٧]

وقوله : {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ[١] ٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ[٢]} [الأحقاف : ٥-٦]

[١] وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقبحِ اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئا ولا يفهم، وتركِهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب (انظر: تفسير الطبري ٢٢/٩٥)

[٢] كما في قوله تعالى : (وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ٨٢) [مريم : ٨١-٨٢]، وقوله تعالى في قول الخليل عليه السلام : (وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضًا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ) [العنكبوت : ٢٥]

وقوله : {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ[1] وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ[2] أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ[3]} [النمل : ٦٢]

وروى الطبراني بإسناده[4] أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذِي المؤمنين، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "إنه لا يستغاث بي، و إنما يستغاث بالله".

---

[1] كما في قوله تعالى : (وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ) [الإسراء : ٦٧]

[2] قال الله تعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ) [الأنعام : ١٦٥], وقال تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ) [فاطر: ٣٩]

[3] وقد عُلم أنه الله هو المتفرد بفعل ذلك. فالسؤال لإنكارهم بعبادتهم لما يدعون آلهة من دون الله

[4] عن عبادة بن الصامت. وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. ورواه أحمد بلفظ : لا يقام لي. إنما يقام لله. قال الهيثمي : فيه راو لم يسم و ابن لهيعة. وضعف إسناده الأرناؤوط

فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية : تفسير قوله : {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ} [يونس : ١٦]

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين[١].

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها[٢].

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفرا[٣].

السابعة : تفسير الآية الثالثة[٤].

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

---

[١] لقوله تعالى : (فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ) [يونس : ١٠٦]

[٢] أي قوله تعالى : (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [يونس : ١٠٧]

[٣] أي كون الدعاء كفرا. قال الله تعالى : (وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ) [المؤمنون : ١١٧]

[٤] أي قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت : ١٧]

التاسعة : تفسير الآية الرابعة[1].

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة : أنه غافل عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي، وعداوته له.

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة : هي سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة[2].

السابعة عشرة : الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلى الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين[3].

---

[1] أي قوله تعالى : {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ٦} [الأحقاف : ٥-٦]

[2] أي قوله تعالى : {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ} [النمل : ٦٢]

[3] ويستفاد من هذا أن إقرارهم في الربوبية لا يلتزم الألوهية بشركهم لآلهتهم مع أنهم يعترفون ربوبية الله

الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، والتأدب مع الله[1].

باب (١٤) قول الله تعالى : {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ١٩٢}[2] [الأعراف : ١٩١-١٩٢]

وقوله : {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ١٣ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ[3] ١٤} [فاطر : ١٣-١٤]

[1] في قوله صلى الله عليه وسلم : "إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله".

[2] مناسبة هذا الباب بالباب السابق أن المصنف أراد أن يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية. فالذي له الربوبية المطلقة هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له

[3] أي ولا يخبرك بعو اقب الأمورومآلها وما تصيرإليه مثل خبيربها. قال قتادة : يعني نفسه تبارك وتعالى. فإنه أخبر بالو اقع لا محالة (انظر: تفسير ابن كثير ٦/٥٤١)

وفي الصحيح[1] عن أنس, قال : "شُجّ النبي[2] صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكُسرت رَباعِيُّته[3]، فقال : "كيف يفلح قوم شجُّوا نبيهم؟". فنَزلت : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران : ١٢٨]

وفيه[4] عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر[5] : "اللهم العَنْ فلانا وفلانا"، بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران : ١٢٨] الآية.

---

[1] أي صحيح البخاري, ورواه معلقا بصيغة الجزم

[2] أي وجهه. والشج في الرأس خاصة في الأصل, وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه, ثم استعمل في غيره من الأعضاء (انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٤٤٥)

[3] الرباعية هي السن التي تلي الثنية من كل جانب. وللإنسان أربع رباعيات (انظر: شرح صحيح مسلم ١٢/١٤٨)

[4] أي صحيح البخاري

[5] أي بعد أن شج وكسرت رباعيته يوم أحد

وفي رو اية : يدعو على صفوان بن أمية، وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام[1]، فنَزلت : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران : ١٢٨][2]
وفيه[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء : ٢١٤], فقال : "يا معشر[4] قريش - أوكلمة نحوها - اشتروا أنفسكم[5]،

---

[1] وهؤلاء الثلاثة هداهم الله إلى الإسلام بعد ذلك. أما صفوان بن أمية بن خلف الجمحي القرشي فإنه هرب يوم الفتح, ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فشهد معه حنينا والطائف وهو كافر, ثم أسلم بعد ذلك. ومات بمكة سنة ٤٢ في أول خلافة معاوية. وأما سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري فإنه كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية وأسر يوم بدر كافرا ثم أسلم وحسن إسلامه, وكان كثير الصلاة والصوم والصدقة, وخرج إلى الشام مجاهدا ومات هناك. وأما الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي فإنه شهد بدرا كافرا مع أخيه شقيقه أبي جهل وفر حينئذ وقتل أخوه, ثم غزا أحدا مع المشركين أيضا ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه, وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم, ثم خرج إلى الشام مجاهدا ولم يزل في الجهاد حتى مات في طاعون عمواس سنة ١٨ (انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٥٦/١٧)

[2] رواه البخاري عن سالم بن عبد الله

[3] أي صحيح البخاري ومسلم

[4] المعشر كل جماعة أمرهم واحد

[5] بأن تُخلصوها من العذاب بإسلامكم

لا أُغني[1] عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا. يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئا. ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا[2]."

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين[3].

الثانية : قصة أحد.

الثالثة : قنوت سيد المرسلين، وخلفه سادات الأولياء يؤمِّنون في الصلاة.

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار[4].

---

[1] أي لا أدفع

[2] فيه من الفقه أن الاستئلاف للمسلمين وغيرهم بالمال جائز. لأنه إذا جاز أن يستألف المسلم بالمال حتى يزداد بصيرة في الإسلام, جاز أن يستألف الكافر حتى يدخل في الإيمان, بل هو أوكد (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/١٦٩)

[3] أي في سورة الأعراف آية ١٩١-١٩٢, وفي سورة فاطر آية ١٣-١٤

[4] في ذلك الوقت

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها : شجهم نبيهم، وحرصهم على قتله. ومنها : التمثيل بالقتلى، مع أنهم بنو عمهم[1].

السادسة : أنزل الله عليه في ذلك : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران : ١٢٨]

السابعة : قوله : {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ} [آل عمران : ١٢٨]، فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة : القنوت في النوازل.

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة : لعن المعيَّن في القنوت[2].

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه : {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء : ٢١٤]

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

---

[1] كما فعلوا في سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه

[2] قال الشيخ العثيمين : "إن أراد المؤلف رحمه الله أن هذا أمر وقع ثم نهي عنه, فلا إشكال. وإن أراد أنه يستفاد من هذا جواز لعن المعين في القنوت أبدا, فهذا فيه نظر, لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك (انظر: القول المفيد ٣٠٣/١)

الثالثة عشرة: قوله صلى الله عليه وسلم للأبعد والأقرب: "لا أغني عنك من الله شيئا" حتى قال: "يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئا". فإذا صرّح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له التوحيد وغربة الدين[١].

باب (١٥) قول الله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ[٢] عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ[٣] الْكَبِيرُ} [سبأ: ٢٣]

في الصحيح[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

[١] أي أن الناس لو تأملوا قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا لَمَا وقع الشرك منهم. إذ أن الإنسان لا ينفعه أقرب قريب إن كان على الشرك (انظر: فتح الرب الحميد ص ١٩١)

[٢] التفزيع هو إزالة الفزع

[٣] أي علوَّ قهر وعلو شأن وعلو ذات

[٤] أي صحيح البخاري

خُضعانا[١] لقوله، كأنه[٢] سلسلة على صفوان[٣] ينفُذهم ذلك[٤] {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ[٥] وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ : ٢٣], فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرَفها[٦] وبدّد[٧] بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيُلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن.

---

[١] أي انقيادا وطاعة

[٢] أي القول المسموع

[٣] الصفوان : الحجر الأملس

[٤] أي ينفذ الله ذلك القول إلى الملائكة فيعمهم

[٥] قال ابن بطال : "فدل ذلك على أنهم سمعوا قولا لم يفهموا معناه من أجل فزعهم, فقالوا : (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ), ولم يقولوا : ماذا خلق ربكم. وأكد ذلك بما حكاه عن الملائكة أيضا : (قَالُوا الْحَقَّ) [سبأ : ٢٣], والحق إحدى صفتي القول الذي لا يجوز على الله غيره, لأنه لا يجوز على كلامه الباطل. ولو كان القول منه خلقا وفعلا, لقالوا حين سألوا ماذا قال, أخلق خلقا كذا أو إنسانا أو جبلا أو شيئا من المخلوقات. فلما وصفوا قوله بما يوصف به الكلام من الحق, لم يجز أن يكون القول بمعنى الخلق والتكوين". (انظر: شرح صحيح البخاري ٤٩٢/١٠)

[٦] أي بين ركوب بعضهم فوق بعض بأصابعه

[٧] أي فرّق

فربما أدركه الشهاب[1] قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيَكذب معها مائة كذبة. فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا[2]؟ فيصدَّق[3] بتلك الكلمة التي سَمع من السماء".

وعن النوّاس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السمواتِ منه رجفةٌ[4] - أو قال رعدة[5] - شديدة خوفا من الله. فإذا سمع ذلك أهل السموات صعِقوا[6]، وخرّوا لله سجدا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير.

---

[1] الشهاب هو النار. وقيل : هو كواكب تضيء. قال الله تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧) [الصفات : ٦-٧]. وسمى شهابا لبريقه وشبهه بالنار. وقيل : الشهاب شُعلة النار(انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٠/١٩)

[2] كناية عن الخرافات التي يذكرها الساحر

[3] أي الساحر في كذباته

[4] أي زلزلة

[5] أي اضطراب

[6] الصعق : أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه. وربما مات منه. ثم استعمل في الموت كثيرا (انظر: النهاية في غريب الحديث ٣٢/٣)

فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله".[1]

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية.

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصا ما تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل : إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب[2].

الثالثة : تفسير قوله : {قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ : ٢٣]

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة : أن جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله : " قال كذا وكذا ".

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبرائيل[3].

السابعة : أنه يقول لأهل السموات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة : أن الغشي يعم أهل السموات كلهم.

التاسعة : ارتجاف السموات بكلام الله.

---

[1] رواه ابن جرير في تفسيره و ابن خزيمة في كتاب التوحيد, ورجاله ثقات

[2] تبطل هذه الآية الشرك من ناحية أنها تبين أن الملائكة لا تملك شيئا. وأنها تسمع وتطيع لله, ولا تنفع شيئا من دون الله (انظر: فتح الرب الحميد ص ٢٠٠)

[3] وفي مطبوعة : جبريل

العاشرة : أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضا.

الثالثة عشرة : إرسال الشهاب[1].

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة : أنه لم يصدَّق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمائة؟[2]

التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون : إثبات الصفات[3]، خلافا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون : أن تلك الرجفة والغشي خوف من الله.

---

[1] وفي مخطوطة : سبب إرسال الشهب

[2] وفي مخطوطة زيادة : كذبة

[3] مثل صفة الكلام الذي يتكلم الله بصوت يسمع. ومثل صفة العلو

الثانية والعشرون : أنهم يخِرون لله سجدا.

باب (١٦) الشفاعة[1]

وقول الله : {وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام : ٥١]

وقوله : {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً[2]} [الزمر : ٤٤]

---

[1] الشفاعة : الإنضمام إلى آخر ناصرا له سائلا عنه. وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة في القيامة (انظر: المفردات في غريب الحديث ص ٤٥٧-٤٥٨). والشفاعة نوعان : شفاعة مثبتة وشفاعة منفية. فالأولى ما أثبتها الله في كتابه. وهي يشترط شرطان : إذن الله للشافع, ورضاه للمشفوع له. قال الله تعالى : (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ) [البقرة : ٢٥٥], وقال تعالى : (مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ) [يونس : ٣], وقال تعالى : (وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ) [الأنبياء : ٢٨]. والثانية ما أنفاها الله في كتابه, وهي الشفاعة للكافرين. قال الله تعالى : (وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ) [البقرة : ٤٨], وقال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِىَ يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) [البقرة : ٢٥٤]

[2] قال ابن كثير : "قل يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله, أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له. فمرجعها كلها إليه". (انظر: تفسير ابن كثير ٧/١٠٢)

وقوله : {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ[1]} [البقرة : ٢٥٥]
وقوله : {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم : ٢٦]
وقوله : {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ٢٢ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ٢٣} [سبأ : ٢٢-٢٣]
قال أبو العباس[2] : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره مُلك أو قسط منه، أو يكون عونا لله. ولم يبق إلا الشفاعة. فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال : {وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء : ٢٨]. فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن, وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده - لا يبدأ

---

[1] قال ابن تيمية : "بين الله تعالى في هذه الآية الفرق بينه وبين خلقه. فإن من عادة الناس أن يستشفعوا إلى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه, فيسأله ذلك الشفيع, فيقضي حاجته إما رغبة وإما رهبة وإما حياء وإما مودة وإما غير ذلك. والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع, فلا يفعل إلا ما يشاء, وشفاعة الشافع من إذنه. فالأمر كله له". (انظر: زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ص ١٩)

[2] أي هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أحد أئمة المسلمين رحمه الله

بالشفاعة أولا -, ثم يقال له : "ارفع رأسك وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفَّع".[1]

وقال له أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال : "من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه".[2] فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفرلهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك. ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه[3].

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات.

الثانية : صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة.

---

[1] متفق عليه, عن أبي هريرة رضي الله عنه

[2] رواه البخاري

[3] أي كلام أبي العباس ابن تيمية

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود[1].

الخامسة : صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم أنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد. فإذا أذن له شفع.

السادسة : من أسعد الناس بها؟

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة : بيان حقيقتها.

[1] وهو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف

باب (١٧) قول الله تعالى : {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ[1]} الآية [القصص : ٥٦]

وفي الصحيح[2] عن ابن المُسيَّب عن أبيه[3] قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة[4] جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي

---

[1] قال ابن عطية : "أجم جُلّ المفسرين على أن قوله تعالى : (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) إنما نزلت في شأن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم". (انظر: تفسير ابن عطية ٤/٢٣٩) ونقل النووي الإجماع في ذلك في شرح صحيح مسلم

فائدة : الهداية أربعة أنواع : الأولى : الهداية العامة المشتركة بين جميع الخلق, كما في قوله الله تعالى : (قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) [طه : ٥٠]. والثانية : هداية البيان والإرشاد, كما في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) [الشورى : ٥٢]. والثالثة : هداية التوفيق والإلهام, كما في قوله تعالى : (إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ) [القصص : ٥٦]. والرابعة : الهداية إلى الجنة أو النار, كما في قوله تعالى عن قول أهل الجنة : (وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ) [الأعراف : ٤٣], وقوله تعالى عن أهل النار: (فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ) [الصفات ٢٣]

[2] أي صحيح البخاري ومسلم

[3] هو المسيب بن حَزْن

[4] وذلك قبل المعاينة والنزع. إذ لو كان في حالة المعاينة والنزع, لما نفعه الإيمان لقوله تعالى : (وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّى تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ) [النساء : ١٨]. قال المُهَلَّب : "إنما تنفع

أمية[1] و أبو جهل، فقال له : "يا عم قل لا إله إلا الله، كلمةً أُحاجُّ لك بها عند الله". فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعادا. فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب[2]، و أبى أن يقول لا إله إلا الله[3]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك[4]". فأنزل الله : {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ[5]} [التوبة : ١١٣], و أنزل الله في أبي طالب : {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص : ٢٣]

كلمة التوحيد لمن قالها قبل المعاينة للملائكة التي تقبض الأرواح. فحينئذ تنفعه شهادة التوحيد, وهو الذي يدل عليه كتاب الله". (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/٣٤٤)

[1] هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة, وكان شديدا على المسلمين مخالفا مبغضا, ثم أسلم عام الفتح, وقيل يوم الطائف. رضي الله عنه

[2] هذا من أحسن الآداب والتصرفات, وهو أن من حكى قول غيره القبيح, أتى به بضمير الغيبة, لقبح صورة لفظه (انظر: شرح صحيح مسلم ١/٢١٤)

[3] هذا تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب

[4] وليس المراد طلب المغفرة العامة والمسامحة بذنب الشرك. و إنما المراد تخفيف العذاب عنه (انظر: فتح الباري لابن حجر٨/٥٠٨)

[5] وهو خبر بمعنى النهي

فيه مسائل :

الأولى : تفسير{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص : ٢٣]

الثانية : تفسير قوله : {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة : ١١٣]

الثالثة : وهي المسألة الكبرى : تفسير قوله : "قل لا إله إلا الله" بخلاف ما عليه من يدعي العلم[١].

الر ابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال للرجل : "قل لا إله إلا الله", فقبّح الله مَن أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

الخامسة : جِدُّه صلى الله عليه وسلم ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة : الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة : كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك.

الثامنة : مَضرة أصحاب السوء على الإنسان.

---

[١] أي تفسيرها نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى, لذا لم ينطق بها الكفار, لأنهم يفهمون معناها. هذا بخلاف من يدعي العلم في زماننا ويقولها وهو مشرك بالله تعالى في عبادته (انظر: فتح الرب الحميد ص ٢٢٢)

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة : الشبهة للمبطلين في ذلك[1], لاستدلال الجاهلية بذلك.

الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لَنفعته.

الثانية عشرة : التأمل في كبَر هذه الشبهة في قلوب الضالين, لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره. فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها[2].

---

[1] بتعظيم الأسلاف والأكابر

[2] أي لأجل معرفة الكفار كلمة التوحيد اقتصروا على مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم عليها

باب (١٨) ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو[١] في الصالحين

وقول الله : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ[٢] لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ[٣]} [النساء : ١٧١]

وفي الصحيح[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً} :[نوح : ٢٣], قال : "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا[٥]، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد[٦], حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم[٧] عُبدت".

---

[١] الغلو هو مجاوزة الحد. ويقال غلا السعر غلاء إذا كان السعر يجاوز القدر المعهود

[٢] أي يا أهل الإنجيل من النصارى (انظر: تفسير الطبري ٩/١٤٥)

[٣] قال ابن تيمية : "النصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف. و إياهم نهى الله عن الغلو في القرآن". (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/٣٢٩)

[٤] أي صحيح البخاري

[٥] أنصاب جمع نُصب, وهو ما يُنصب لغرض كالعبادة

[٦] أي هذه الأنصاب

[٧] أي علم سبب تصوير هذه الأنصاب

وقال ابن القيم[1] : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد[2] فعبدوهم.

وعن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تُطرُوني[3] كما أطرت النصارى ابن مريم. إنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله[4] ورسوله[5]". أخرجاه.

وقال[6] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إياكم والغلو[7]. فإنما أهلك من كان قبلكم[8] الغلو".[9]

---

[1] انظر: إغاثة اللهفان ١/١٨٤

[2] أي العمر

[3] من الإطراء, وهو المدح بالباطل أو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه, قيل : أطريت فلانا إذا مدحته و أفرطت في مدحه

[4] فلا يُعبد

[5] فلا يُكذّب

[6] أي ابن عباس رضي الله عنهما

[7] قال ابن تيمية : "هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد والأعمال. والغلو: مجاوزة الحد بأن يُزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق, ونحو ذلك". (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/٣٢٨)

[8] أي من الأمم

[9] رواه أحمد والنسائي و ابن ماجه, وصححه الألباني وأحمد شاكر

ولمسلم عن ابن مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "هلك المتنطعون[1]". قالها ثلاثا.

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجَبَ[2].

الثانية : معرفة أول شرك حدث في الأرض, أنه بشبهة الصالحين[3].

الثالثة : أول شيء غُيّر به دينُ الأنبياء، وما سبب ذلك؟ مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة : قبول البدع، مع كون الشرائع والفِطَر تردّها.

---

[1] هم المتعمقون المغالون في الكلام, المتكلمون بأقصى حلوقهم, مأخوذ من النِّطع, وهو الغار الأعلى من الفم, ثم استعمل في كل تعمق قولا وفعلا (انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/٧٤)

[2] لأن أكثر الناس صاروا يغلون في الصالحين, ويرفعونهم فوق منزلتهم

[3] أي بالغلو في الصالحين

الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل[1]، فالأول[2] : محبة الصالحين. والثاني[3] : فعل أناس من أهل العلم شيئا أرادوا به خيرا[4]، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره[5].

السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة : جِبِلّة[6] الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة : فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسُن قصد الفاعل.

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة : معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها[7].

---

[1] أي خلط الحق بالباطل

[2] هو الحق

[3] هو الباطل

[4] نحو نصبوا أنصابا لينشطوا في العبادة إذا كسلوا

[5] فظنوا أن الأولين نصبوا أنصابا لعبادتهم

[6] أي طبيعة

[7] لأن تركها سبب لعبادتها

الثالثة عشرة : معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة : وهي أعجب العجب قراءتُهم إياها[1] في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.[2]

الخامسة عشرة : التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك[3].

السابعة عشرة : البيان العظيم في قوله : "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم". فصلوات الله وسلامه على من بلّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة : نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

---

[1] أي قصة قوم نوح

[2] أي أعجب الأشياء أن هؤلاء يقرؤون قصة قوم نوح عليه السلام في كتب التفسير, ويعرفون معناها, ومع ذلك اعتقدوا أن فعل قوم نوح عليه السلام أفضل العبادات, وأن الكفر الذي يبيح الدم والمال هو ما نهى عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم, وذلك لأن الله حال بينهم وبين قلوبهم (انظر: فتح الرب الحميد ص ٢٣٣)

[3] أي ظن اللاحقون أن الأولين أرادوا عبادتها

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده[1].

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء[2].

باب (١٩) ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح[3]، فكيف إذا عبده؟

في الصحيح[4] عن عائشة : أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة[5] رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال : "أولئكِ[6] إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنَوا على

---

[1] أي معرفة فضل وجود العلم, ومضرة فقده

[2] كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الله لا يقبِض العلم انتزاعا ينتزعه من العِباد. ولكن يقبض العلم بقبض العلماء, حتى إذا لم يُبق عالما, اتخذ الناس رؤوسا جُهّالا, فسُئلوا فأفتَوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا". متفق عليه

[3] أي متقربا إلى الله تعالى متوسلا إليه بعبادته عند قبر رجل صالح

[4] أي صحيح البخاري ومسلم

[5] هي معبد النصارى

[6] بكسر الكاف خطابا بالمؤنث. ويجوز فتحها (انظر: فتح الباري لابن حجر ٥٢٥/١, إرشاد الساري ٤٣٤/١)

قبره مسجدا، وصوّروا فيه تلك الصور. أولئك شرار الخلق عند الله[1]". فهؤلاء جمعوا بين فتنتين : فتنة القبور[2]، وفتنة التماثيل[3]."

ولهما، عنها، قالت : لما نزل[4] برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفِق[5] يطرح خميصةً[6] له على وجهه[7]، فإذا اغتمّ[8] بها كشَفَها[9] فقال - وهو كذلك[10] - : "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم

---

[1] في الحديث دليل على تحريم التصوير. ابن بطال : "فيه نهي عن اتخاذ القبورمساجد, وعن فعل التصاوير. قال المهلب : و إنما نهى عن ذلك - والله أعلم - قطعا للذريعة ولقرب عبادتهم الأصنامَ و اتخاذِ القبور والصورة آلهةً". (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨٢/٢)

[2] بأن يعكفوا عند القبر

[3] بأن ينصبوا التماثيل

[4] بفتح النون والزاي أي لما نزل ملك الموت والملائكة الكرام. وفي رو اية أخرى بضم النون والزاي أي لما حضرت المنية والوفاة (أنظر: شرح صحيح مسلم ١٢/٥-١٣, عمدة القاري ١٩٣/٤)

[5] بمعنى أخذ. وهي من أفعال المقاربة

[6] هي ثوب خز أو صوف معلّم. وكانت من لباس الناس قديما. وجمعها الخَمائص

[7] أي يجعلها على وجهه من الحمى

[8] أي إذا احتبس نفسه عن الخروج

[9] عن وجهه

[10] أي حال طرح والكشف

مساجد[1]". يحذّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبرُه[2]، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدا. أخرجاه.

ولمسلم عن جُندُب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ[3] إلى الله أن يكون لي منكم خليل[4], فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا[5]. ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا.

---

[1] جملة استئنافية كأنها جواب عن سؤال سائل ما سبب لعنهم؟ فأجيب بقوله: "اتخذوا". (انظر: عمدة القاري ٤/١٩٣-١٩٤)

[2] قال القرطبي: "بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صلى الله عليه وسلم, فأعلوا حيطان تربته, وسدوا الداخل إليها, وجعلوها محدقة بقبره صلى الله عليه وسلم, ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين فتتصور إليه الصلاة بصورة العبادة, فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين, وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال, حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره, ولهذا المعنى قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره". (انظر: فتح الباري لابن رجب ٣/٢٤٨)

[3] أي أمتنع

[4] الخليل مشتق من الخَلة بفتح الخاء بمعنى الحاجة والفقر, أو من الخُلة بضم الخاء بمعنى تخلل المودة في القلب. ومعنى الحديث: نفى صلى الله عليه وسلم أن تكون حاجته إلى غير الله تعالى

[5] والخلة تتضمن كمال المحبة ونهايتها, بحيث لا يبقى في قلب المحب سعة لغير محبوبه. وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه ما. وهذا المنصب خلص

ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك[1]."

فقد نهى عنه في آخر حياته, ثم إنه لعن - وهو في السياق[2] - مَن فعله, والصلاةُ عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد[3]، وهو معنى قولها : "خشي أن يتخذ مسجدا". فإن الصحابة لم يكونوا ليبنُوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال صلى الله عليه وسلم : "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا[4][5]."

لخليلين صلوات الله وسلامه عليهما : إبراهيم, ومحمد (انظر: الداء والدواء ص ٤٤٥, روضة المحبين ص ٤٧)

[1] هذا يعم كل القبور (انظر: فتح الباري لابن رجب ٣/ ١٩٩)

[2] أي في سياق الموت

[3] أي والصلاة عند القبر من جنس من يتخذه مسجدا وإن لم يبن مسجد عليه

[4] إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به, فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية (انظر: شرح صحيح مسلم ١٣/٥)

[5] متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه

ولأحمد بسند جيّد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا : "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء[1]، والذين يتخذون القبور مساجد[2]". ورواه أبو حاتم في صحيحه.

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل[3].

الثانية : النهي عن التماثيل، وغِلَظ الأمر في ذلك.

الثالثة : العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك. كيف بيّن لهم هذا أولا، ثم قبل موته بخمس، قال ما قال، ثم لمّا كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

---

[1] قال النووي : "أما حديث : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة", فليس مخالفا لهذا الحديث. لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم الريح اللينة قرب القيامة, وعند تظاهر أشراطها. فأطلق في هذا الحديث بقاؤهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي في القرب (انظر: شرح صحيح مسلم ٢/١٣٢)

[2] قال ابن القيم : "إن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن الصلاة عند القبور منهي عنها, و أنه لعن من اتخذها مساجد إلخ". (انظر: إغاثة اللهفان ١/١٨٥)

[3] لأن النية الصحيحة لا تُصلح العمل الفاسد

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة : لعنه إياهم على ذلك.

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة : العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة : في معنى اتخاذها مسجدا.

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك[1] قبل وقوعه مع خاتمته[2].

الحادية عشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس الردَّ على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حَدثَ الشركُ وعبادة القبور, وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة : ما بُلي به صلى الله عليه وسلم من شدة النَّزع.

الثالثة عشرة : ما أُكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

---

[1] أي ذكر وسيلة تفضي إلى الشرك

[2] أي خاتمة الشرك

السادسة عشرة : الإشارة إلى خلافته[1].

باب (٢٠) ما جاء أن الغلو[2] في قبور الصالحين يصيّرها أوثانا تعبد من دون الله

---

[1] لأن النبي صلى الله عليه خص أبا بكر بهذه الدرجة لا غيره

[2] قال ابن تيمية : "الغلو في الأمة وقع في طائفتين : طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهيةَ, وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك من الأنبياء والصالحين. فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئا من الألوهية والربوبية فهو من جنس النصارى. و إنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم". (انظر: مجموع الفتاوى ٦٦/١)

روى مالك في الموطأ[1] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد[2]. اشتد غضبُ الله على قوم[3] اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[4]."

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد : {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى} قال : "كان يلُتّ[5] لهم السويق[6] فمات، فعكفوا على قبره[7]."

---

[1] عن عطاء بن يسار مرسلا. ورواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه, وصححه الألباني

[2] واستجاب الله دعاءه رغم أنف المشركين الضالين الذين يشبّهون قبر غيره بقبره, ويريدون أن يجعلوه وثنا يحاجّ إليه ويدعى من دون الله. فقبره صلى الله عليه وسلم لا يمكن أحد أن يصل إليه حتى يتخذه وثنا. و إنما يصل إلى مسجده (انظر: الرد على الإخنائي ص ١٦٨)

[3] أي اليهود والنصارى

[4] قال الطبري : "الأظهر أنه إخبار عما وقع في الأمم السالفة تحذيرا للأمة المرحومة من أن يفعلوا فعلهم, فيشتد غضبه عليهم". (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦٢٨/٢) وقال ابن عبد البر: "ليس فيه حكم أكثر من التحذير أن يصلى إلى قبره, وأن يتخذ مسجدا. وفي ذلك أمر بأن لا يعبد إلا الله وحده". (انظر: الاستذكار٢/٣٦٠)

[5] أي يدقّ ويفتّ

[6] السويق طعام يتخذ من الحنطة والشعير

[7] قال ابن تيمية : "تعظيم قبور الصالحين و اتخاذ التماثيل لها هي العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور, هي التي أوقعت كثيرا

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : "كان يلت السويق للحاج".

من الأمم, إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك. فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين وتماثيل يزعمون أنه طلاسم للكواكب ونحو ذلك. فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر". (انظر: إغاثة اللهفان ١/١٨٤)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور[1]، والمتخذين عليها المساجد والسُرُج[2]". رواه أهل السنن[1].

---

[1] قال الترمذي : "قد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور. فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء. وقال بعضهم : إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن". (انظر: سنن الترمذي ٣٦٢/٣) وكذا نقله البغوي في شرح السنة. وقال ابن عبد البر : "ممكن أن يكون هذا قبل الإباحة. وتوقي ذلك للنساء المتجملات أحب إلي. فأما الشواب فلا تؤمن الفتنة عليهن وبهن حيث خرجن. ولا شيء للمرأة أفضل من لزوم قعر بيتها. ولقد كره أكثر العلماء خروجهن إلى الصلوات, فكيف إلى المقابر. وما أظن سقوط فرض الجمعة عنهن إلا دليلا على إمساكهن عن الخروج فيما عداها". (انظر: التمهيد ٢٣٢/٣-٢٣٣). والمراد بالترخص حديث بُريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نهيتكم عن زيارة القبور, فزوروها". رواه مسلم, وحديث عن عبد الله بن أبي مُليكَة أن عائشة رضي الله عنها أقبلتْ ذات يوم من المقابر, فقلت لها : يا أم المؤمنين, من أين أقبلتِ؟ قالت : من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر. فقلت لها : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور؟ قالت : نعم, كان قد نهى, ثم أُمر بزيارتها. رواه الحاكم والبيهقي وصححه الألباني في الإرواء. واعترضه وأجابه جوابا جميلا بوجوه ابنُ تيمية في الفتاوى الكبرى ٥٥/٣-٥٧

[2] السُرُج جمع سِراج, وهو المصباح. قال الشوكاني في هذا الحديث : "فيه دليل على تحريم اتخاذ السرج على المقابر لما يفضي إليه ذلك من الاعتقادات الفاسدة". (انظر: نيل الأوطار ١١١/٤). قال ابن تيمية : "قد

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الأوثان.

الثانية : تفسير العبادة.

الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه[2].

الرابعة : قرنُه بهذا اتخاذَ قبور الأنبياء مساجد[3].

اتفق أئمة الدين على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور, ولا أن تعلق عليها الستور, ولا أن ينذر لها النذور, ولا أن يوضع عندها الذهب والفضة, بل حكم هذه الأموال أن تصرف في مصالح المسلمين إذا لم يكن لها مستحق معين. ويجب هدم كل مسجد بني على قبر كائنا من كان الميت. فإن ذلك من أكبر أسباب عبادة الأوثان". (انظر: مجموعة الرسائل والمسائل ١/٥٤).
وقال العيني : "يستفاد من هذا الحديث ثلاث فوائد : الأولى كراهة زيارة النساء القبور. واختلف العلماء هل هو كراهة تنزيه أو تحريم. قيل : تنزيه. والجمهور على أنه تحريم, وهو الأصح, وعليه الفتوى. الثانية كراهة اتخاذ المساجد على القبور. الثالثة كراهة اتخاذ السرج عليها". (انظر: شرح سنن أبي داود ٦/١٩٢-١٩٣)

[1] أي رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وأحمد, وصححه أحمد شاكر وحسنه الألباني في المشكاة, وضعفه في الإرواء

[2] كما في قوله صلى الله عليه وسلم : "اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد إلخ", لأنه صلى الله عليه وسلم خاف أن وقع ذلك من أمته كما وقع ذلك من اليهود والنصارى

[3] أي قرن النبي صلى الله عليه بهذا الدعاء من الاستعاذة لأجل تحذير أمته من أن يتخذوا قبره مسجدا كما فعله اليهود والنصارى

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة : وهي من أهمها : صفة معرفة عبادة اللات[١] التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة : أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة : لعنه زوارات القبور.

العاشرة : لعنه من أسرجها.

---

[١] وهي العكوف عندها

باب (٢١) ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جَنابَ التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى : {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ[١] حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ[٢] بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ[٣]} [التوبة : ١٢٨][٤]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تجعلوا بيوتكم قبورا[٥]، ولا تجعلوا قبري عيدا[٦]، وصلوا

---

[١] أي شديد عليه مشقتكم وكل مضرة ومكروه وأذى يصيبكم (انظر: تفسير الطبري ١٤/٥٨٤)

[٢] أي حريص على هدى ضلالكم وتوبتكم ورجوعكم إلى الحق (انظر: تفسير الطبري ١٤/٥٨٤)

[٣] أي رفيق رؤوف بالمطيعين, رحيم بالمذنبين (انظر: تفسير الطبري ١٤/٥٨٤)

[٤] والشاهد في هذه الآية شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حماية أمته من ترك التوحيد والوقوع في الشرك

[٥] أي كالقبور في خلوها عن الصلاة والذكر والعبادة, بل اشغلوها بذلك. وشُبه المكان الخالي عن العبادة بالقبور والغافل عنها بالميت (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/٢٧٤, عون المعبود ٦/٢٢)

[٦] العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من مكان وزمان. فأما الزمان فكقوله صلى الله عليه وسلم : "يوم عرفة , ويوم النحر, و أيام التشريق عيدنا أهل الإسلام". رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح والنسائي وأحمد وصححه الألباني. وأما المكان فكقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : "ولا تجعلوا قبري عيدا". وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية. فلما جاء

عليّ, فإن صلاتكم تبلغني[1] حيث كنتم[2]". رواه أبو داود[3] بإسناد حسن ورو اته ثقات.

وعن علي بن الحسين : أنه رأى رجلا يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم, فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال : ألا أحدّثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله

الله بالإسلام أبطلها وعوّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر و أيام منى كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام وعرفة ومنى ومشاعر (انظر: إغاثة اللهفان ١/ ١٩٠)

[1] بمعنى هذا الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم : "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة, فأكثروا علي الصلاة فيه, فإن صلاتكم معروضة علي". رواه أبو داود والنسائي و ابن ماجه وأحمد وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط

[2] قال الألباني : "في هذه الآثار النهي عن قصد قبور الأنبياء وتتبع آثارهم للصلاة والدعاء عندها, وذلك سدا للذريعة وخشيةَ الغلو فيهم المؤدي إلى الشرك بالله تعالى. ولذا لم يكن من فعل السلف الصالح رضي الله عنهم". (انظر: تخريج أحاديث فضائل الشام ص ٥٢), وقال ابن تيمية : "قد تو اتر عن الصحابة أنهم كانوا إذا نزلت بهم الشدائد كحالهم في الجدب والاستسقاء وعند القتال والاستنصار يدعون الله, ويستغيثونه في المساجد والبيوت, ولم يكونوا يقصدون الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره من قبور الأنبياء والصالحين". (انظر: الفتاوى الكبرى ٢/ ٤٣١)

[3] وصححه الألباني

عليه وسلم قال : "لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم".[1] رواه في المختارة[2]

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة.

الثانية : إبعاده أمته عن هذا الحِمى غاية البعد.

الثالثة : ذكر حرصه علينا ور أفته ورحمته.

الر ابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة : نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة : حثه على النافلة في البيت.

السابعة : أنه متقرِّر عندهم أنه لا يصلَّى في المقبرة.

---

[1] حديث حسن لغيره, رواه البزار و ابن أبي شيبة و أبو يعلى والضياء في الأحاديث المختارة, وقال الألباني في تحذير الساجد ص ١٢٨ : "سنده مسلسل بأهل البيت رضي الله عنهم إلا أن أحدهم وهو علي بن عمر مستور كما قال الحافظ في التقريب".

[2] المختارة كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين, ومؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي أحد الأعلام, توفي سنة ٦٤٣ هـ.

الثامنة : تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تُعرَض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

باب (٢٢) ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

وقوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ[١] يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ[٢] وَالطَّاغُوتِ[٣]} [النساء : ٥١]

وقوله تعالى : {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ[٤] مَثُوبَةً[٥] عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ[٦]} [المائدة : ٦٠]

---

[١] أي هم علماء اليهود (انظر: التفسير الوجيز ص ٢٦٨)

[٢] الجبت : الأصنام. وقيل : السحر (انظر: تفسير الطبري ٨/٤٦١-٤٦٣)

[٣] الطاغوت : الشيطان. وقيل : الكاهن (انظر: تفسير الطبري ٨/٤٦٢-٤٦٥)

[٤] وهو قولكم : لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم (انظر: تفسير الطبري ١٠/٤٣٥)

[٥] أي ثوابا وجزاء

[٦] فالقردة أصحاب السبت, والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام, ومن يعبد الطاغوت هم اليهود (انظر: تفسير الطبري ١/٤٣٧-٤٣٩, تفسير البغوي ٢/٦٦)

وقوله تعالى : {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً[1]} [الكهف : ٢١]

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقذة[2]، حتى لو دخلوا جُحر ضب لدخلتموه". قالوا : يا رسول الله، اليهود والنصارى[3]؟ قال : "فمن؟". أخرجاه[4].

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله زوى[5] لِيَ الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي

---

[1] الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ. وهذا فيه ذم لهم, لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه : "لعن الله اليهود والنصارى, اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا". متفق عليه (انظر: تفسير ابن كثير ١٤٧/٥)

[2] القذة هي ريش السهم أي نهايته. وجمعه قُذَذ. وفيه مثل يُضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان.

[3] قال سفيان بن عيينة : "من فسد من علمائنا, ففيه شبه من اليهود. ومن فسد من عبادنا, ففيه شبه من النصارى". (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٧٩/١, الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٤٤)

[4] إلا لفظ : "حذف القذة بالقذة" لم يخرجاه

[5] أي جمع

سيبلغ مُلكُها ما زوى لي منها. وأُعطيت الكنْزين الأحمر والأبيض[١].
وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلكها بسنة بعامة[٢]، وأن لا يسلِّط عليهم عَدُوّا من سوى أنفسهم فيستبيحَ بيضتَهم[٣]، وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيتُ قضاء فإنه لا يُرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلّط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها[٤]، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويَسبِيَ[٥] بعضهم بعضا".

---

[١] هي ما أفاء الله على أمته من كنوز الملوك. فالأحمر الذهب، والأبيض الفضة. والذهب كنوز الروم، لأنه الغالب على نقودهم. والفضة كنوز الأكاسرة، لأنها الغالب على نقودهم. وقيل: أراد العرب والعجم جمعهم الله على دينه وملته (انظر: النهاية في غريب الحديث ١/٤٣٨). ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لتُنفَقنَّ كنوزُهما - أي كنوز كسرى وقيصر - في سبيل الله". متفق عليه

[٢] أي بشدة وجدب يجتاحهم ويعم جميعهم بالهلاك

[٣] أي فينهَب جماعتهم ويستولي عليهم. والبيضة مأخوذ من بيضة الطائر لتحصينه ما فيها، واجتماعه عليها (انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ٤/٢١٨، إكمال المُعلِم بفوائد مسلم ٨/٤٢٧)

[٤] أي أقطار الأرض ونواحيها

[٥] أي يأسِر

ورواه البَرقاني في صحيحه, وزاد : "و إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة[1]. ولا تقوم الساعة حتى يَلحق حي من أمتي بالمشركين[2]، وحتى تَعبد فِئامٌ[3] من أمتي الأوثان. و إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه

[1] وإذا ظهرت الحرب فيهم تبقى إلى يوم القيامة. وقد وضع السيف بقتل عثمان, فلم يزل إلى الآن. فإن لم يكن في بلد, يكون في بلد آخر. وخُص السيف لغلبة القتال (انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٤٦٥/٢, مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٣٨٩/٨, التيسير بشرح الجامع الصغير ١٣٣/١)

[2] أي أنهم ينزلون معهم في ديارهم, ويصيرون منهم بالردة ونحوها (انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٣٢٠)

[3] أي جماعات

نبي[1]، و أنا خاتم النبيين[2] لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورةٌ[3] لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى".[1]

---

[1] قد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي صلى الله عليه وسلم, فخرج مسيلمة باليمامة, والأسود العنسي باليمن, ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة, وسَجاح التميمية في بني تميم. وقُتل الأسود قبل أن يموت النبي صلى الله عليه وسلم, وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر, وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر, وُنقل أن سجاح أيضا تابت. وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقا, فإنه لا يُحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء. و إنما المراد من قامت له شوكة, وبدت له شبهة. وقد أهلك الله تعالى من وقع له ذلك منهم, وبقي منهم من يلحقه بأصحابه, وآخرهم الدجال الأكبر (انظر: فتح الباري لابن حجر ٦/٦١٧)

[2] كما في قوله تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا) [الأحزاب : ٤٠]

[3] قال البخاري : "باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : {لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق} يقاتلون, وهم أهل العلم". وقال أحمد بن حنبل : "إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث, فلا أدري من هم؟". وقال علي ابن المديني : "هم أهل الحديث والذين يتعاهدون مذاهب الرسول, ويذُبُّون عن العلم. لولاهم, لم تجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء والرأي شيئا من السنن". (انظر: صحيح البخاري ١٠١/٩, مشتبه أسامي المحدثين للهروي ص ٢٢, شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ١٠)

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء.

الثانية : تفسير آية المائدة.

الثالثة : تفسير آية الكهف.

الرابعة : وهي أهمها : ما معنى الإيمان بالجِبت والطاغوت في هذا الموضِع؟ هل هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بُغضها ومعرفة بطلانها؟[2]

---

[1] وكذا روى هذا الحديث أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والبزار والحاكم والبيهقي والأصبهاني في الحلية, وصححه الألباني. وفي حديث جابر بن سمُرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لن يبرح هذا الدين قائما, يقاتل عليه عصابةٌ من المسلمين حتى تقوم الساعة". رواه مسلم. والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم : "حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى", أي الريح اللينة التي تأتي قرب قيام الساعة, فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة (انظر: شرح صحيح مسلم ٢/١٣٢)

[2] قال الشيخ العثيمين : "أما إيمان القلب واعتقاده, فهذا لا شك في دخوله في الآية. وأما موافقة أصحابها في العمل مع بغضها ومعرفة بطلانها, فهذا يحتاج إلى تفصيل. فإن كان وافق أصحابها بناء على أنها صحيحة, فهذا كفر. وإن كان وافق أصحابها ولا يعتقد أنها صحيحة, فإنه لا يكفر, لكنه لا شك في خطر عظيم يخشى أن يؤدي به الحال إلى الكفر, والعياذ بالله". (انظر: القول المفيد ١/٤٣٨)

الخامسة : قولهم[1] : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين.

السادسة : وهي المقصودة بالترجمة : أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة : التصريح بوقوعها أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جُموع كثيرة.

الثامنة : العجَبُ العُجابُ : خروجُ من يدعي النبوة، مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق, وفيه[2] : أن محمدا خاتم النبيين، ومع هذا يُصدَّق في هذا كله مع التضادِّ الواضح[3]. وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة.

التاسعة : البِشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة : الآية العظمى : أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

---

[1] أي قول الذين كفروا بالله لأجل أنهم قدموا الكفر على الإيمان

[2] في القرآن

[3] أي فكيف من يؤمن بالقرآن الكريم وفيه قوله تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ) [الأحزاب : ٤٠]؟ فهذا تضاد وتناقض

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة : ما فيهن من الآيات العظيمة, منها : إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال, وإخباره بأنه أعطي الكنْزين, وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين, وإخباره بأنه مُنع الثالثةَ, وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع, وإخباره بإهلاك بعضهم بعضا وسبي بعضهم بعضا, وخوفه على أمته من الأئمة المضلين, وإخباره بظهور المتنبِّئين في هذه الأمة, وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

باب (٢٣) ما جاء في السحر[1]

[1] السحر لغة صرف الشيء عن وجهه. واصطلاحا فعل يخفى سببه ويوهم قلبَ الشيء عن حقيقته. وهو عمل يتقرب به إلى الشيطان ومعونةً منه (انظر: النهاية في غريب الحديث ٣٤٦/٢, كشاف اصطلاحات الفنون ٩٣٥/١). قال ابن قدامة المقدسي : "السحر عزائم ورقى وعقَد تؤثر في الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه, ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه. قال الله تعالى : (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ) [البقرة : ١٠٢], وقال الله سبحانه : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ) [الفلق : ١] إلى قوله : (وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ) [الفلق : ٤], يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن, وينفثن في عقدهن. ولولا لأن للسحر حقيقة, لم يأمر بالاستعاذة منه". (انظر: الكافي ٣٣١/٥-٣٣٢). قال المازري : "أهل السنة وجمهور العلماء من الأمة على إثبات السحر, وأن له حقيقة كحقائق غيره من الأشياء الثابتة, خلافا لمن أنكره ونفى حقيقته وأضاف ما يتفق منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها. وقد ذكر الله سبحانه في كتابه العزيز, وذكر أنه مما يُتعلم, وذكر ما يشير إلى أنه مما يكفر به, و أنه يفرق بين المرء وزوجه. وهذا كله لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له. وكيف يتعلم ما لا حقيقة له إلخ". (انظر: المعلم بفوائد مسلم ٢٥٦/٢). وقال ابن هبيرة : "وأجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال : لا حقيقة له عندي". (انظر: إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم ٣٢٥/٢)

وقول الله تعالى : {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ[١]}
[البقرة : ١٠٢]

وقوله : {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء : ٥١]

قال عمر: "الجبت السحر، والطاغوت الشيطان".[٢]

وقال جابر: "الطواغيت كُهَّان كان يَنْزل عليهم الشيطانُ، في كل حي واحدٌ[٣]".[٤]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اجتنبوا السبع المُوبقات[٥]". قالوا : يا رسول الله، وما هن؟

---

[١] أي ليس لمن عمل بالسحر في الدار الآخرة نصيب من الجنة (انظر: تفسير الطبري : ٤٥٢/٢-٤٥٣). وفي هذه الآية دليل على كفر السحر

[٢] رواه البخاري بصيغة الجزم, ووصله و ابن جرير في تفسيره

[٣] أي في كل قبيلة كاهن تنزل عليهم الشياطينُ

[٤] رواه البخاري بصيغة الجزم, ووصله ابن جرير في تفسيره

[٥] أي المهلكات. وهي من الكبائر لا حصرها. أما تعريف الكبائر فاختلف العلماء فيه. وقيل : هي كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. هذا مروي عن ابن عباس والحسن البصري. قال العز بن عبد السلام : "لم أقف لأحد من العلماء على ضابط للكبيرة لا يسلم من الاعتراض. والأولى ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه إشعارا دون الكبائر المنصوص عليها". ثم قال ابن حجر في فتحه : "وهو ضابط جيد".

قال : "الشرك بالله، والسحر[١]، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق[٢]، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي[٣] يوم الزَّحف[٤]، وقذف[٥] المحصَنات[٦] الغافلات[٧] المؤمنات[٨][٩]."

---

[١] ومنه سحر التخيل كسحر سحرة فرعون, ومنه السحر الحقيقي الذي يستعين فيه الساحربالشياطين (انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦١/١٤, إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٢/٥)

[٢] كما في حديث عبد الله مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس, والثيب الزاني, والمارق من الدين التاركُ للجماعة". متفق عليه

[٣] أي الإعراض والفرارعن الحرب

[٤] يوم ازدحام الطائفتين

[٥] القذف : الرمي البعيد, واستُعيرللشتم والعيب والبهتان

[٦] المحصنات بفتح الصاد هي التي أحصنها الله وحفظها من الزنا

[٧] كناية من البريئات, لأنها غافلة عما بُهت به من الزنا

[٨] ويدخل فيه المؤمنون. قال ابن بطال : "أجمع المسلمون أن حكم المحصنين في القذف كحكم المحصنات قياسا واستدلالا, وأن من قذف حرا عفيفا مؤمنا عليه الحد ثمانون كمن قذف حرة مؤمنة". (انظر: شرح صحيح البخاري ٤٨٩/٨)

[٩] متفق عليه

وعن جُندَب مرفوعا : "حد الساحر ضربة بالسيف[1]". رواه الترمذي[2]، وقال : الصحيح أنه موقوف[3].

وفي صحيح البخاري[4] عن بَجالة بن عَبَدة قال : "كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة". قال : فقتلنا ثلاث سواحر".[5]

وصح عن حفصة رضي الله عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت[6].

---

[1] لأجل كفره. وقيل : لأجل الفساد في الأرض. لكن الجمهور هؤلاء يرون قتله حدا (انظر: مجموع الفتاوى ٣٤٦/٢٨). قال الترمذي : "والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس. وقال الشافعي : إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر. فإذا عمل عملا دون الكفر، فلم نر عليه قتلا". (انظر: سنن الترمذي ٦٠/٤)

[2] والطبراني والدارقطني والبيهقي والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي

[3] وكذا قال الألباني : "والصحيح عن جندب موقوف". (انظر: السلسلة الضعيفة ٦٤١/٣).

[4] لم يوجد بهذا اللفظ في صحيح البخاري (انظر: فتح الرب الحميد ص ٢٨٦)

[5] رواه أحمد والشافعي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى والدارقطني والبيهقي واللالكائي في أصول الاعتقاد وسعيد بن منصور في سننه، وصحح إسناده أحمد شاكر والأرناؤوط

[6] رواه مالك والشافعي والبيهقي في المعرفة

وكذلك صح عن جندب[1].

قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[2].

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة.

الثانية : تفسير آية النساء.

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن[3]، وقد يكون من الإنس[4].

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة : أن الساحر يكفُر[5].

---

[1] أي أنه قتل الساحر. وهذا رواه البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي شيبة والدارقطني والطبري والبيهقي واللالكائي في أصول الاعتقاد

[2] على أنهم قتلوا الساحر. وهم : عمر, وحفصة, وجندب رضي الله عنهم

[3] فهو شيطان

[4] فهو كاهن

[5] لقوله تعالى : (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ) الآية [البقرة : ١٠٢]. واختلف العلماء فيمن يتعلم السحر على ثلاثة أقوال : القول الأول : يكفر بذلك, قاله أبو حنيفة ومالك وأحمد. والقول الثاني : لا يكفر إذا يتعلم ليتقيه أو ليتجنبه, قاله بعض أصحاب أبي حنيفة. القول الثالث : الحكم المفصل على حسب وصف السحر. إذا كان السحر يوجب الكفر

السابعة : أنه يقتل[1] ولا يستتاب[2].

الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟

فيكفر, وإلا إذا يعتقد إباحته فيكفروإلا فلا, قاله الشافعي (انظر: إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم ٢/٣٢٥). قال الشيخ العثيمين : "والصحيح أن السحر يكون شركا إذا كان بواسطة الشياطين يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور, ويكون عدو انا وفسقا إذا كان بالأدوية والعقاقير". (انظر: القول المفيد ١/٤٨٩)

[1] واختلف العلماء في سبب قتل الساحر على ثلاثة أقوال : القول الأول : يقتل الساحر بمجرد تعلمه واستعماله, قاله مالك وأحمد. والقول الثاني : لا يقتل بالسحر إلا إذا يقتل بالسحر, قاله الشافعي. والقول الثالث : يقتل إذا تكرر بذلك على أنه يقتل بالسحر, قاله أبو حنيفة, وفي روا ية عنه : إذا أقر الساحر على أنه يقتل بالسحر. وكذا اختلفوا في قتل الساحر حدا أو قصاصا. قال أبو حنيفة ومالك وأحمد يقتل الساحر حدا. وقال الشافعي يقتل الساحر قصاصا. ومقتضى هذا أن من قال أن الساحر يقتل حدا لا تقبل توبته بخلاف من قال أنه يقتل قصاصا. وكذا في رو اية عن أحمد تقبل توبته. والساحرة المسلمة تعامل معاملة الرجل في الحكم, قاله مالك, والشافعي, وأحمد كما في حديث حفصة رضي الله عنها خلافا لأبي حنيفة, لأن عنده الساحرة المسلمة تحبس ولا تقتل (انظر: إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم ٢/٣٢٦)

[2] تبع المؤلف من قال إن الساحر لا تقبل توبته فلا يستتاب

باب (٢٤) بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيّان بن العَلَاء، حدثنا قَطَن بن قَبِيصة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن العِيافة والطَّرق والطِّيَرة[١] من الجِبت".[٢]

قال عوف[٣] : العيافة : زَجْر الطير[٤]. والطَّرق : الخطّ يُخط بالأرض. والجبت قال الحسن : رَنَّة الشيطان[٥]. إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي و ابن حبان في صحيحه المسندُ منه[٦].

---

[١] هي التفاؤل والتشاؤم بالشيء

[٢] رواه أحمد و أبو داود والنسائي, وحسنه النووي في رياض الصالحين وضعفه الألباني

[٣] أي هذا تفسير من راويه, هو عوف البصري

[٤] والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها, وهو من عادة العرب كثيرا (انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/٣٣٠)

[٥] أي صوته

[٦] أي من النبي صلى الله عليه وسلم فقط, ولم يرووا قول عوف وقول الحسن

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اقتبس شُعبة[1] من النجوم, فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد[2]". رواه أبو داود[3]، وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث[4] أبي هريرة رضي الله عنه: "من عَقد عُقدة ثم نفث فيها, فقد سحر. ومن سحر فقد أشرك. ومن تعلق شيئا وُكل إليه[5]."

وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا هل أنبئكم ما العَضهُ؟ هي النميمة, القالة بين الناس[6]". رواه مسلم.

---

[1] أي من تعلم شيئا

[2] اي كلما زاد من علم النجوم, زاد له من الإثم مثل إثم الساحر (انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/٨٠)

[3] وأحمد و ابن ماجه, وصححه أحمد شاكر وحسنه الألباني

[4] وضعف الألباني هذا الحديث

[5] فلا عون من الله تعالى

[6] أي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكى للبعض عن البعض (انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/١٢٣)

ولهما[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن من البيان لسحرا".[2]

فيه مسائل :

الأولى : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية : تفسير العيافة والطرق.

الثالثة : أن علم النجوم من نوع السحر.

الرابعة : العُقد مع النفث من ذلك.

الخامسة : أن النميمة من ذلك.

السادسة : أن من ذلك بعضَ الفصاحة.

---

[1] أي البخاري ومسلم

[2] إن أريد بالحديث المدح, فالمعنى أنه يستمال به القلوب ويرضى به الساخط ويُستنزل به الصعب. وإن أريد به الذم, فالمعنى أنه يكتسب به من الإثم ما يكتسبه الساحر (انظر: فتح الباري لابن حجر ١٣٠/١)

باب (٢٥) ما جاء في الكهان ونحوهم[١]

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من أتى عرَّافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما[٢]."

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفربما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم[٣]". رواه أبو داود[٤].

---

[١] قال ابن القيم : "الناس قسمان : أتباع الكهنة و أتباع رسل الله. فلا يجتمع في العبد أن يكون من هؤلاء وهؤلاء, بل يبعد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقدر قربه من الكاهن, ويكذب الرسول بقدر تصديقه للكاهن". (انظر: إغاثة اللهفان ٢٥٣/١)

[٢] أما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لا ثواب له فيه, وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه, ولا يحتاج معها إلى إعادة (انظر: شرح صحيح مسلم ٢٢٧/١٤)

[٣] الحديث يشتمل على النهي عن إتيان هؤلاء كلهم والرجوع إلى قولهم وتصديقهم على ما يدعونه من هذه الأمور". (انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢٣/٦). وقال ابن حجر : "هذا الحديث ورد مرة مقيدا بالتصديق, ومرة غير مقيد, فيُحمل على الحالين. فمن أتى كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. ومن أتى كاهنا فلم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما". (انظر: فتح الباري ٢١٧/١٠)

[٤] وأحمد والترمذي والنسائي و ابن ماجه, وصححه الألباني

وللأربعة والحاكم, وقال : صحيح على شرطهما : عن أبي هريرة : "من أتى عر افا[1] أوكاهنا فصدقه بما يقول فقد كفربما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم".

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا[2].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا : "ليس منا[3] من تَطيّر[4] أوتُطيّرله[5] أوتَكهّن[6] أوتُكهّن له[7]، أوسَحر[8] أوسُحرله[9]. ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفربما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم" رواه البزاربإسناد جيد[10].

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : "ومن أتى" إلى آخره.

---

[1] أي وفي هذه الروواية زيادة : عر افا

[2] وكذا رواه الطبراني في الأوسط و ابن الجعد في مسنده

[3] أي ليس متأسيا بسنتنا, ولا مقتديا بنا, ولا ممتثلا بطريقتنا التي نحن عليها (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٧٧/٣)

[4] أي من فعل فعل الطيَرة

[5] أي من فُعل له فعل الطيَرة وهوراض

[6] أي من فعل فعل الكَهانة

[7] أي من فُعل له فعل الكَهانة وهوراض

[8] أي من فعل فعل السِحر

[9] أي من فُعل له فعل السِحروهوراض

[10] وكذا رواه الدولابي في الكنى والأسماء, وحسنه الألباني

قال البغوي : العرَّاف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يُستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.[1]

وقيل : هو الكاهن. والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل.

وقيل : الذي يخبر عما في الضمير[2].

وقال أبو العباس بن تيمية : العراف : اسم الكاهن والمنجم[3] والرمَّال[4] ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق[5].

وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جادٍ[6] وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق[7][8].

---

[1] انظر: شرح السنة ١٨٢/١٢

[2] أي في القلب

[3] هو من يستعمل النجوم لمعرفة الأمور الغيبية

[4] هو من يستعمل الرمل لمعرفة الأمور الغيبية

[5] انظر: مجموع الفتاوى ١٧٣/٣٥

[6] أي الحروف الأبجدية

[7] أي من نصيب في الجنة

[8] رواه البيهقي في الشعب والكبرى, ومعمر بن راشد في الجامع, والخرائطي في مساوئ الأخلاق

فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية : التصريح بأنه كفر.

الثالثة : ذكر من تُكهن له.

الرابعة: ذكر من تُطير له.

الخامسة: ذكر من سُحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

باب (٢٦) ما جاء في النُشرة[١]

عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النُّشرة؟ فقال: "هي من عمل الشيطان". رواه أحمد بسند جيد[٢] و أبو داود. وقال: سئل أحمد عنها, فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

---

[١] قال القاضي عياض: "النشرة أمر معروف عند أهل التعزيم. وسميت بذلك لأنها تنشر عن صاحبها أي تحل عنه". (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٩٩/٧). وقال ابن الجوزي: "النشرة حل السحر عن المسحور. ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر". (انظر: فتح الباري لابن حجر ٢٣٣/١٠).

[٢] وصححه الألباني

وفي البخاري[1] عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طِبٌّ[2] أو يؤخَّذ عن امرأته[3], أيُحلُّ عنه أو يُنشر؟ قال: لا بأس به. إنما يريدون به الإصلاح. أما ما ينفع فلم يُنهَ عنه".

ورُوي عن الحسن أنه قال :لا يحلّ السحرَ[4] إلا ساحر[5].

قال ابن القيم: النشرة حَلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان, وعليه يحمل قول الحسن[6]، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيُبطل عملَه عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأَدْوِية والدعوات المباحة, فهذا جائز[7].

---

[1] معلقا بصيغة الجزم

[2] أي سحر

[3] أي يمتنع عن جماع امرأته

[4] من المسحور

[5] أي في الغالب. هذا إن صح الأثر (انظر: القول المفيد ١/٥٥٧)

[6] وقول الحسن: "النشرة من السحر". رواه الشافعي في المسند. قال ابن حجر: "الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره. لأنه قد ينحل بالرقى والأدعية والتعويذ, ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين". (انظر: فتح الباري ١٠/٢٣٣)

[7] انظر: إعلام الموقعين ٤/٣٠١

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن النشرة.

الثانية : الفرق بين المنهي عنه والمرخَّص فيه مما يزيل الإشكال.

باب (٢٧) ما جاء في التطير

وقول الله تعالى : {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ[١]} [الأعراف : ١٣١]

وقوله : {قَالُوا[٢] طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ[٣] أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ[٤]} [يس : ١٩]

---

[١] وتمام الآية : (فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ) [الأعراف : ١٣١] أي أن الذي أصابهم من الله. فلجهلهم بذلك كانوا يطيرون بموسى ومن معه (انظر: تفسير الطبري ١٣/٤٨)

[٢] أي قالت الرسل لأصحاب القرية التي قالوا : (قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ) [يس : ١٨]

[٣] يعني ما أصابكم من الشؤم من قِبلكم بكفركم وتكذيبكم

[٤] أي مشركون مجاوزون الحد بشرككم (انظر: تفسير البغوي ٤/١١). وقال ابن كثير: "أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له, قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ بل أنتم قوم مسرفون". (انظر: تفسير ابن كثير ٦/٥٧٠)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا عَدوى[1] ولا طيرة[2] ولا هامة[3] ولا صفَر[1]". أخرجاه.

---

[1] العدوى اسم من الإعداء كالرعوى والبقوى من الإرعاء والإبقاء. وهو أن يصيبه مثل ما يصيب صاحب الداء. قال ابن عبد البر: "معناه: أنه لا يُعدي شيء شيئا, ولا يعدي سقيم صحيحا. والله يفعل ما يشاء, لا شيء إلا ما شاء". (انظر: الاستذكار٨/٤٢٢). وقال ابن القيم : "قال بعض العلماء : إن الجاهلية كانت تعتقد أن الأمراض المعدية تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله سبحانه. فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم اعتقادهم ذلك, وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله سبحانه هو الذي يُمرض ويشفي, ونهى عن القرب منه ليتبين لهم أن هذا من الأسباب. وفي فعله بيان أنها لا تستقل بشيء, بل الرب سبحانه إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا, وإن شاء أبقى عليها قواها فأثرت". (انظر: زاد المعاد ٤/١٤٠-١٤١)

[2] قال النووي : "كانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفّرون الظباء والطيور. فإن أخذت ذات اليمين تبرّكوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم. وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها. فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم, فنفى الشرع ذلك و أبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر". (انظر: شرح صحيح مسلم ١٤/٢١٩)

[3] الهامة طائر من طير الليل. وقيل : هي البُومة . وقيل : كانت العرب تتشاءم بالهامة إذا سقطت على دار أحدهم, فيراها ناعية نفسه أو أحدا من أهله. وإلى هذا التفسير ذهب مالك. وقيل : كانت العرب تعتقد أن عظام الميت تنقلب هامة طائر, فأنكر صلى الله عليه وسلم هذا كله و أبطله (انظر: المعلم بفوائد مسلم ٢/٢٧٢-٢٧٣, النهاية في غريب الحديث ٥/٢٨٣). وقال النووي : "وهذا تفسير أكثر العلماء, وهو مشهور. ويجوز أن يكون المراد

زاد مسلم "ولا نَوء[2] ولا غُول[3]."

النوعين. فإنهما جميعا باطلان. فبين النبي صلى الله عليه وسلم إبطال ذلك وضلالةَ الجاهلية فيما تعتقده من ذلك". (انظر: شرح صحيح مسلم ٢١٦/١٤)

[1] الصفر هو تأخيرهم المحرم إلى صفر في النسيء الذي كانوا يفعلونه. وقيل : الصفر دود في البطن. وكانوا يعتقدون أن الصفر دابة في البطن يراها العرب أعدى من الجرب (انظر: المعلم بفوائد مسلم ٢٧٢/٢, الاستذكار ٤٢٤/٨, كشف المشكل من حديث الصحيحين ٩٣/٣, النهاية في غريب الحديث ٣٥/٣)

[2] النوء هو النجم

[3] أي أن الجن لا تستطيع أن تغول أحدا أو تضله أو تغير صفته (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٤٥/٧). قال النووي : "قيل : ليس المراد بالحديث نفي وجود الغُول. وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها. قالوا : ومعنى لا غول أي لا تستطيع أن تضل أحدا". (انظر: شرح صحيح مسلم ٢١٧/١٤)

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة، ويُعجبني الفأل[1]". قالوا: وما الفأل؟ قال: "الكلمة الطيبة[2]".

ولأبي داود بسند صحيح[3] عن عقبة بن عامر قال: "ذُكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أحسَنُها الفأل، ولا تَردّ مسلما[4]. فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك".

---

[1] الفأل إنما هو أن يسمع الإنسان الكلمة الحسنة فيفأل بها أي يتبرك بها ويتأولها على المعنى الذي يطابق اسمها. وإنما كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق, والتفاؤل حسن ظن به. والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال (انظر: معالم السنن ٢٣٥/٤, فتح الباري لابن حجر ٢١٥/١٠)

[2] الفرق بين الطيرة والفأل: يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء, والغالب في السرور, والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء. قالوا: وقد تستعمل مجازا في السرور. وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء, والفأل بما يسر. ومن لا شرطه أن لا يقصد إليه, فيصير من الطيرة (انظر: شرح صحيح مسلم ٢١٩/١٤, المعلم بفوائد مسلم ٢٣٧/٢, فتح الباري لابن حجر ٢١٥/١٠)

[3] وصححه النووي في شرح صحيح مسلم, وضعفه الألباني

[4] أي لا ترد الطيرة مسلما. قال البكري: "هذا نفي بمعنى النهي أي شأن المسلم ألا يرجع عما عزم عليه من أجلها, لعلمه أن لا أثر لغير الله تعالى أصلا". (انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٥٠٦/٨)

وعن ابن مسعود مرفوعا : "الطيرة شرك، الطيرة شرك[1]، وما منا إلا[2]، ولكن الله يذهبه بالتوكل[3]". رواه أبو داود والترمذي[4] وصححه. وجعل آخره[5] من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث[6] ابن عمرو : "من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك". قالوا : فما كفارة ذلك؟ قال : "أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طَيْر إلا طيرك، ولا إله غيرك".

وله من حديث[7] الفضل بن عباس رضي الله عنه : "إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك".

---

[1] و إنما جعل ذلك شركا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعا أو يدفع ضرا فكأنهم أشركوه مع الله تعالى (انظر: فتح الباري لابن حجر ٢١٣/١٠)

[2] قوله وما منا إلا: قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك اهـ (انظر: فتح المجيد ص ٣١٣)

[3] فيه إشارة إلى أن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة، أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك (انظر: فتح الباري لابن حجر ٢١٣/١٠)

[4] وأحمد و ابن ماجه، وصححه أحمد شاكر والألباني

[5] وهو: وما منا

[6] وصححه أحمد شاكر

[7] وضعفه أحمد شاكر

فيه مسائل :

الأولى : التنبيه على قوله : {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ} [الأعراف : ١٣١] مع قوله : {طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [يس : ١٩]

الثانية : نفي العدوى.

الثالثة : نفي الطيرة.

الرابعة : نفي الهامة.

الخامسة : نفي الصفر.

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة : تفسير الفأل.

الثامنة : أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر، بل يذهبه الله بالتوكل.

التاسعة : ذكر ما يقول من وجده[١].

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة.

---

[١] أي ما وقع في القلب من الطيرة

باب (٢٨) ما جاء في التنجيم[1]

[1] التنجيم نوعان: الأول: علم التأثير: هو الاستدلال على الحوادث الأرضية التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان بالأحوال الفلكية, كالإخبار بأوقات هبوب الريح, ومجيء المطر, وظهور الحر والبرد, وتغير الأسعار ونحو ذلك. هذا تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه لا يعلم الغيب أحد سواه. وحكمه صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة, بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل, وهو مناف للتوحيد. والثاني: علم التسيير: هو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات. حكمه: لا بأس به, بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادة أو الاهتداء به في الجهات (انظر: معالم السنن: ٣٢٩/٤-٣٣٠, مجموع الفتاوى ١٩٢/٣٥, القول السديد ص ١١٦).
فائدة: الإخبار عن كسوف الشمس أو خسوف القمر أو أحوال الطقس جائز لا شيء فيه. لأن هذه الأمور تدرك بالحساب, وتستند إلى أمور حسية, وليست من علم الغيب (انظر: القول المفيد ٥٣١/١-٥٣٢)

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينةً للسماء[1]، ورجوما للشياطين[2]، وعلامات يُهتدى بها[3]. فمن تأول فيها غير ذلك[4] أخطأ، وأضاع نصيبه[5]، وتكلف ما لا علم له به[6]". انتهى.

---

[1] كما في قوله تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ) [الصفات : ٦], وقوله تعالى : (وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ) [فصلت : ١٢] أي بالنجوم والكواكب, وجعلها مصابيح لإضاءتها

[2] كما في قوله تعالى : (وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ) [الملك : ٥]

[3] كما في قوله تعالى : (وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [النحل : ١٦] أي دلائل يستدل بها المسافرون برا وبحرا إذا ضلوا الطريق, وقوله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ) [يونس : ٥]

[4] أي من زعم في النجوم غير هذه الثلاثة

[5] أي حظه من عمره, لأنه اشتغل بما لا فائدة فيه, بل مضرة محضة (انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٣٨٠)

[6] قال الداودي : "قول قتادة في النجوم حسن إلا قوله : أخطأ وأضاع نفسه, فإنه قصر في ذلك, بل قائل ذلك كافر". ثم قال ابن حجر: "ولم يتعين الكفر في حق من قال ذلك. وإنما يكفر من نسب الاختراع إليها. وأما من جعلها علامة على حدوث أمر في الأرض فلا". (انظر: فتح الباري ٦/٢٩٥)

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حَربٌ عنهما[1].

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثة لا يدخلون الجنة : مُدْمِن الخمر[2]، ومصدِّق بالسحر، وقاطع الرحم". رواه أحمد و ابن حبان في صحيحه[3].

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق النجوم.

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة : ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة : الوعيد فيمن صدَّق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

---

[1] قال ابن رجب : "وهذا محمول على علم التأثير لا علم التسيير. فإن علم التأثير باطل محرم. والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم, وتقريب القرابين لها كفر. وأما علم التسيير, فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزا عند الجمهور". (انظر: مجموع رسائل ابن رجب ١٢/٣)

[2] أي المداوم على شربها

[3] صححه أحمد شاكر والألباني

باب (٢٩) ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ[١]} [الواقعة : ٨٢]

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن[٢] : الفخر

[١] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : "شكركم, تقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا, وبنجم كذا وكذا". رواه أحمد والترمذي, وحسنه إسناده الأرناؤوط

[٢] قال الطيبي : "المعنى أن هذه الخصال تدوم في الأمة لا يتركونهن بأسرهم تركهم لغيرها من سنن الجاهلية. فإنهن إن يتركهن طائفة جاءهن آخرون". (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٢٣٤/٣)

بالأحساب[1]، والطعن في الأنساب[2]، والاستسقاء بالنجوم[3]، والنياحة[4]."

---

[1] هو الشرف بالآباء والتعاظم بمناقبهم (انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ١/١٣٧). فلا كرم إلا بتقوى الله كما في قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ) [الحجرات: ١٣]، وقوله تعالى: (وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ) [سبأ: ٣٧]

[2] هو تحقير الرجل آباء غيره، وتفضيل آبائه على آباء غيره (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/١٢٣٤) ولما عيّر أبو ذر رضي الله عنه رجلا بأمه قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر أعيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية". فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه (انظر: فتح المجيد ص ٣٢٣)

[3] هو طلب السقيا أي توقع الأمطار عن وقوع النجوم في الأنواء، كما كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا

[4] هي رفع الصوت بندب الميت وتعديد شمائله (انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ١/١٣٧)

وقال : "النائحة إذا لم تتب قبل موتها[1] تقام يوم القيامة وعليها سِربال[2] من قَطِران[3] ودِرع من جَرَب[4]". رواه مسلم.

[1] أي قبل حضور موتها. قال الله تعالى : (وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [النساء : ١٨]. وفيه دليل على تحريم النياحة, وهو مجمع عليه. وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف ولم يصل إلى الغرغرة". (انظر: شرح صحيح مسلم ٦/٢٣٦)

[2] هو قميص مطلي

[3] هو طلاء يطلى به

[4] أي يسلط على أعضائه الجرب والحكة, بحيث يغطي جلدها تغطية الدرع, فتطلى مو اقعه بالقطران, لتُداوى فيكون الدواء أدوى من الداء, لاشتماله على لذع القطران, وإسراع النار في الجلود. وإذا قيل : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الخلال الأربع ولم يرتب عليها الوعيد سوى النياحة, فما الحكمة فيه؟ فالجواب : النياحة مختصة بالنساء, وهن لا ينزجرن من هجرانهن انزجارالرجال, فاحتجن إلى مزيد الوعيد (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/١٢٣٥)

ولهما[1] عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صلى لنا[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية[3] على إثر سماء[4] كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : "هل تدرون ماذا قال ربكم[5]؟" قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : "قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر[6]، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته

---

[1] أي البخاري ومسلم

[2] واللام بمعنى الباء أي صلى بنا

[3] الحديبية موضع معروف في آخر الجبل وأول حرم. وفيه كان الصلح بين قريش وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم, وفيه كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة (انظر: الاستذكار ٢/٤٣٦)

[4] أي عقب مطر. وسمي المطر سماء لأنه ينزل من السماء

[5] وعند النسائي في رواية سفيان عن صالح : "ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟".

[6] قال القرطبي : "ظاهره أنه الكفر الحقيقي, لأنه قابل به المؤمن الحقيقي. فيحمل على من اعتقد أن المطر من فعل الكواكب وخلقها, لا من فعل الله تعالى, كما يعتقده بعض جهال المنجمين والطبائعين والعرب. فأما من اعتقد أن الله تعالى هو الذي خلق المطر واخترعه, ثم تكلم بذلك القول, فليس بكافر, ولكنه مخطئ من وجهين : أحدهما : أنه خالف الشرع. فإنه قد حذر من ذلك الإطلاق. وثانيهما : أنه قد تشبه بأهل الكفر في قولهم, وذلك لا يجوز, لأنا قد أُمرنا بمخالفتهم, ونُهينا عن التشبه بهم. وذلك يقتضي الأمر بمخالفتهم في الأفعال والأقوال. فلو قال غير هذا اللفظ الممنوع يريد به الإخبار عما أجرى الله تعالى به سننه جاز". (انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/٢٥٩-٢٦٠)

فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب[1]."

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: "قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ[2] ٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ[3] ٧٨ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ[4] ٧٩ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ[5] أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ[6] ٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ٨٢}". [الواقعة ٧٥-٨٢]

---

[1] فالناس ثلاثة أقسام : أحدها : من اعتقد أن النجم هو الذي ينزل المطر, حكمه كافر كفرا أكبر مخرجا من الملة. والثاني : من اعتقد أن النجم سبب في إنزال المطر, حكمه مشرك شركا أصغر, لأن الشارع لم يجعل النوء سببا لإنزال المطر. وإنما هو فضل من الله تعالى ورحمة منه. والثالث : من اعتقد أن الله هو الذي ينزل المطر برحمته وفضله, حكمه مؤمن بالله جل جلاله (انظر: فتح الرب الحميد ص ٣٤٧)

[2] قال بعضهم : أي فلا أقسم بمنازل القرآن. لأن الله تعالى أنزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة (انظر: تفسير الطبري ١٤٨/٢٣)

[3] أي مصون عند الله

[4] أي الذين قد طهرهم الله من الذنوب, وهم الملائكة والرسل والمتطهرون من الجنابات والأحداث (انظر: تفسير الطبري ١٥٢-١٥/٢٣)

[5] أي القرآن

[6] أي المكذبون

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الو اقعة.

الثانية : ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة : ذكر الكفر في بعضها[1].

الر ابعة : أن من الكفر ما لا يخرج من الملة[2].

الخامسة : قوله : "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر" بسبب نزول النعمة.

السادسة : التفطن[3] للإيمان في هذا الموضع.

السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة : التفطن لقوله : "لقد صدق نوء كذا وكذا".

التاسعة : إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها، لقوله : "أتدرون ماذا قال ربكم؟".

العاشرة : وعيد النائحة.

---

[1] هو الطعن في الأنساب والنياحة على الميت كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اثنتان في الناس هما به كفر : الطعن في النسب, والنياحة على الميت". رواه مسلم. وكذا الاستسقاء بالأنواء لأن فيه نوعا في طلب شيء لما لا يقدر عليه

[2] مثل الطعن في النسب والنياحة على الميت, لأن ذلك كفر كفرا أصغر

[3] أي التفهم مع التنبيه

باب (٣٠) قول الله تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ[١]} [البقرة : ١٦٥]

وقوله : {قُلْ[٢] إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا[٣] وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا[٤] وَمَسَاكِنُ

---

[١] فأخبر أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى, فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا. فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية. فإن أحدا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية, بخلاف ند المحبة. فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا في الحب والتعظيم (انظر: مدارج السالكين ٣/٢١).

فائدة : المحبة ثلاثة أنواع : الأولى : محبة الله : هي أصل الإيمان والتوحيد. والثانية : المحبة في الله : هي محبة ما يحبه الله من الأعمال الصالحة, وهي تابعة لمحبة الله ومكملة لها. والثالثة : المحبة مع الله : هي أصل الشرك (انظر: زاد المعاد ٤/٢٤٩)

[٢] أي قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام, المقيمين بدار الشرك

[٣] أي التي اكتسبتموها

[٤] أي بفراقكم من بلدكم

تَرْضَوْنَهَا[1] أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا[2] حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ[3] وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ} [التوبة : ٢٤]

عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده[4] ووالده[5] والناس أجمعين[6]". أخرجاه.

ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما

---

[1] أي تحبونها لطيبها وحسنها

[2] أي فانتظروا

[3] أي بفتح مكة. وهذا تهديد لهؤلاء

[4] أي أحب إليه محبةَ إجلال من محبته لوالده

[5] أي أحب إليه محبةَ شفقة من محبته لولده

[6] أي أحب إليه محبةَ استحسان من محبته لسائر الناس. قال الخطابي : "لم يُرد به حب الطبع, بل أراد به حب الإختيار, لأن حب الإنسان نفسه طبع, ولا سبيل إلى قلبه. فمعناه : لا تصدُق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي على هواك, وإن كان فيه هلاكك". (انظر: شرح صحيح مسلم ١٥/٢) قال القاضي عياض : "ومن الإشفاق في محبته صلى الله عليه وسلم : نصرة سنته والذب عن شريعته وتمني حضور حياته, فيبذل ماله ونفسه دونه. وإذا تحقق ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك. ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومُفضل. ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه, فليس بمؤمن". (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٨٠/١-٢٨١)

سواهما[1]، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله[2]، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار[3]."

وفي رواية : "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ... " إلى آخره.[4]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "من أحب في الله، و أبغض في الله، ووالى في الله[5]، وعادى في الله[6]، فإنما تنال وَلاية الله[7] بذلك. ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون

---

[1] ومن محبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم : التزام شريعته, ووقوفه عند حدوده, ومحبة أهل ملته, وهو تمام محبته. فيحب العبد لا يحبه إلا لله, لأن من أحب شيئا, أحب ما يحبه, ومن يحبه, ومن هو من سببه (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/٢٧٩)

[2] قال يحيى بن معاذ : "حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر, ولا ينقص بالجفاء". (انظر: فتح الباري لابن حجر ١/٦٢)

[3] وذلك أنه لا تصح محبة الله ورسوله حقيقة, والحب للغير في الله, وكراهة الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوى بالإيمان يقينه, واطمأنت به نفسه و انشرح له صدره, وخالط دمه ولحمه. وهذا هو الذي وجد حلاوته. والحب في الله من ثمرات الحب لله (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/٢٧٨)

[4] رواه البخاري

[5] هذا من ثمرات المحبة في الله

[6] هذا من ثمرات البغض في الله

[7] وَلاية الله بفتح الواو: نصرته. أما بكسرها : فهي الإمارة

كذلك[1]. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئا[2]". رواه ابن جرير[3].

وقال ابن عباس في قوله تعالى : {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} [البقرة : ١٦٦] قال : "المودة[4][5]".

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة.

الثانية : تفسير آية براءة.

---

[1] كما في حديث آخر عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمانَ". رواه أبو داود، وصححه الألباني، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : "إن أوثق عُرى الإيمان أن تحب في الله، وتُبغض في الله". رواه أحمد، وصححه الألباني

[2] أي لا ينفعهم شيئا. قال الله تعالى : (ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ) [الزخرف : ٦٧]

[3] وابن المبارك في الزهد، وابن أبي شيبة. وروى الطبراني في الكبير، والأصبهاني في الحلية عن ابن عمر، وفيه ليث بن أبي سليم، قال عنه ابن حجر في التقريب : "صدوق اختلط جدا، ولم يتميز حديثه فترك".

[4] فصارت مخالطتهم في الدنيا عداوة في الآخرة

[5] رواه ابن جرير والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي

الثالثة : وجوب محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والأهل والمال.

الرابعة : نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة : أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة : فهم الصحابي للواقع أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة : تفسير {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} [البقرة : ١٦٦].

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا.

العاشرة : الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه منه دينه.

الحادية عشرة : أن من اتخذ ندا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

باب (٣١) قول الله تعالى : {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ[1] فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[2]} [آل عمران : ١٧٥]

وقوله : {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى[3] أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة : ١٨]

---

[1] أي يخوفكم بأوليائه يعني الكفار (انظر: تفسير البغوي ٥٣٢/١, تفسير ابن كثير ١٣٩/٢). قال السدي : يعظم أولياءه في صدورهم ليخافوهم (انظر: تفسير الثعلبي ٢١٤/٣)

[2] قال الطبري : "أي إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون : (إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ) [آل عمران : ١٧٣], فخوّفوكم بجموع عدوكم ومسيرهم إليكم, من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم يخوّفكم بأوليائه من المشركين - أبي سفيان وأصحابه من قريش - لترهبوهم وتجبنوا عنهم". (انظر: تفسير الطبري ٤١٦/٧)

[3] وعسى من الله واجب (انظر: تفسير البغوي ٣٢٤/٢)

وقوله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ[1] وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ[2] أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ[3]﴾ [العنكبوت : ١٠]

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا : "إن من ضعف اليقين أن تُرضي الناس بسخَط الله[4]، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذُمَّهم

---

[1] أي جعل أذية الناس وعذابهم له كعذاب الله في الآخرة, فارتد عن إيمانه بالله راجعا إلى الكفر به, ولا يصبر على الأذية في الله (انظر: تفسير الطبري ١٢/٢٠, التفسير الوجيز ص ٨٢٩) قال ابن عباس : "يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله". (انظر: تفسير ابن كثير ١٦٥/٦)

[2] أي إنا كنا إخوانكم في الدين

[3] أي أوليس الله بأعلم بما في قلوبهم وما تكنه ضمائرهم وإن أظهروا لكم الموافقة؟ (انظر: تفسير ابن كثير ١٦٦/٦)

[4] قال ابن تيمية : "إن اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته, ويضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره. فإذا أرضيتهم بسخط الله, لم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه. فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم من الدنيا, فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم, وإما ضعف تصديق بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة. فإنك إذا أرضيت الله, نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم. فإرضاؤهم بسخطه إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم. وذلك من ضعف اليقين. وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك, فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم. فإنه ما شاء كان, وما لم يشأ لم يكن. فإذا ذممتم على ما لم يقدر, كان ذلك من ضعف يقينك. فلا تخفهم, ولا ترجهم, ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك. لكن من حمده الله ورسوله صلى الله عليه وسلم, فهو

على ما لم يؤتِك الله. إن رزق الله لا يجُرّه حرص حريص، ولا يردّه كراهية كاره".[1]

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من التمس رضى الله بسخط الناس, رضي الله عنه وأرضى عنه الناس. ومن التمس رضى الناس بسخط الله, سخط الله عليه وأسخط عليه الناس". رواه ابن حبان[2] في صحيحه.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران.

الثانية : تفسير آية براءة.

الثالثة : تفسير آية العنكبوت.

الرابعة : أن اليقين يضعُف ويقوى.

الخامسة : علامة ضعفه. ومن ذلك هذه الثلاث.

المحمود. ومن ذمه الله ورسوله, فهو المذموم (انظر: مجموع الفتاوى ١/٥١-٥٢)

[1] رواه الأصبهاني في الحلية والبيهقي في الشعب, وقال : فيه محمد بن مروان ضعيف

[2] والترمذي بلفظ : "من التمس رضاء الله بسخط الناس, كفاه الله مؤنة الناس. ومن التمس رضاء الناس بسخط الله, وكله الله إلى الناس". وصححه الألباني

السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض[1].

السابعة : ذكر ثواب من فعله.

الثامنة : ذكر عقاب من تركه.

[1] لقوله تعالى : (وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران : ١٧٥], فجعل الإيمان متوقفا على الخوف

باب (٣٢) قول الله تعالى : {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا[1] إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِ[2]}

[المائدة : ٢٣]

---

[1] قد تقدم معنى التوكل في خلال باب (٢) : من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب. والتوكل الشركي هو نوعان : أحدهما الذي يتوكل في الأمور التي لا يقدرها إلا الله تعالى كطلب الرزق ونحوه للأموات, فهو شرك أكبر. وثانيهما الذي يتوكل في الأمور التي أقدرها الله تعالى لرجل كطلب الشفاء من الطبيب فهو نوع من شرك أصغر. أما الوكالة كتوكيل الإنسان غيره في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه مع عدم الاعتماد في حصول ما وُكل إليه, بل يتوكل على الله في حصوله, فهذا جائز (انظر: جامع المسائل لابن تيمية ١/٨٩-٩٠, تيسير العزيز الحميد ٤٢٨-٤٢٩). قال ابن تيمية : "القلب لا يتوكل إلا على من يرجوه. فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو مُلكه أو ماله غير ناظر إلى الله, كان فيه نوع توكل على ذلك السبب. وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه, فإنه مشرك : (وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ) [الحج : ٣١]". (انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٢٥٧)

[2] قال ابن كثير: "أي متى توكلتم على الله و اتبعتم أمره وو افقتم رسوله, نصركم الله على أعدائكم و أيدكم وظفركم بهم". (انظر: تفسير ابن كثير ٣/٧٧) . وقال ابن القيم : "هذا يدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل. فمن لا توكل له لا إيمان له". (انظر: مدارج السالكين ١/٤٣١)

وقوله : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً[١] وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ[٢]} [الأنفال : ٢]

وقوله : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[٣]} [الأنفال : ٦٤]

وقوله : {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق : ٣]

---

[١] هذه الآية تدل على زيادة الإيمان. قال ابن بطة : "اعلموا رحمكم الله أن الله عزوجل تفضل بالإيمان على من سبقت له الرحمة كتابه. ومن أحب أن يسعده. ثم جعل المؤمنين في الإيمان متفاضلين, ورفع بعضهم فوق بعض درجات ثم جعله فيهم يزيد ويقوى بالمعرفة والطاعة, وينقص ويضعف بالغفلة والمعصية. وبهذا نزل الكتاب, وبه مضت السنة, وعليه أجمع العقلاء من أئمة الأمة. ولا ينكر ذلك ولا يخالفه إلا مرجيء خبيث قد مرض قلبه وزاغ بصره وتلاعبت به إخوانه من الشياطين. فهو من الذين قال الله عزوجل فيهم : (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) [الأعراف : ٢٠٢] (انظر: الإبانة الكبرى ٨٣٢/٢)

[٢] قال ابن تيمية : "وإنما يتوكلون عليه لطمأنينتهم إلى كفايته, وأنه سبحانه حسب من توكل عليه يهديه وينصره ويرزقه بفضله ورحمته وجوده. فالتوكل عليه يتضمن الطمأنينة إليه والاكتفاء به عما سواه". (انظر: النبوات ٣٧٩/١-٣٨٠)

[٣] قال ابن كثير: "يحرض تعالى نبيه صلوات الله وسلامه عليه والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران, ويخبرهم أنه حسبهم أي كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم, وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم, ولو قل عدد المؤمنين (انظر: تفسير ابن كثير ٨٦/٤)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ) [آل عمران : ١٧٣], قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين أُلقي في النار[1]، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : {إِنَّ النَّاسَ[2] قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران : ١٧٣]. رواه البخاري والنسائي.

فيه مسائل :

الأولى : أن التوكل من الفرائض.

الثانية : أنه من شروط الإيمان.

الثالثة : تفسير آية الأنفال.

الرابعة : تفسير الآية في آخرها.

الخامسة : تفسير آية الطلاق.

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة, وأنها قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم في الشدائد.

---

[1] قال الله تعالى : (قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠) [الأنبياء : ٦٨-٧٠]

[2] هم أبو سفيان وأصحابه من مشركي قريش الذين كانوا معه بأحُد

باب (٣٣) قول الله تعالى : {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ[1] فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ[2]} [الأعراف : ٩٩]

وقوله : {وَمَنْ يَقْنَطُ[3] مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ} [الحجر: ٥٦]
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر؟ فقال : "الشرك بالله، واليأس من رَوح الله[4]، والأمن من مكر الله".[5]

---

[1] أي عذاب الله بأن يأتيهم بغتة (انظر: التفسير الوجيز ص ٤٠٤). وقال ابن كثير : "(مَكْرَ اللَّهِ) أي بأسه ونقمته وقدرته عليهم, وأخذ إياهم في حال سهوهم وغفلتهم". (انظر: تفسير ابن كثير ٣/٥٤١)

[2] أي القوم الهالكون. قال الحسن البصري : "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجِل خائف, والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن". (انظر: تفسير ابن كثير ٣/٥٤١)

[3] القنوط هو الإياس من الخير, وهو ضد الرجاء أو قطع الأمل

[4] أي من رحمة الله

[5] رواه البزار كما في كشف الأستار ص ١٠٦, وفيه شبيب بن بشر, قال عنه ابن حجر في التقريب : صدوق يخطئ. قال الهيثمي في مجمع : رواه البزار والطبراني, ورجاله موثقون

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله".

رواه عبد الرازق[1].

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الأعراف.

الثانية : تفسير آية الحجر.

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط.

---

[1] وكذا رواه ابن جرير, والطبراني في الكبير, وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره والهيثمي في المجمع

باب (٣٤) من الإيمان بالله : الصبر[1] على أقدار الله

وقوله تعالى : {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ[2] وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن : ١١]

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

---

[1] قال ابن القيم : "الصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور, وحبس اللسان عن الشكوى, وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه. فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة. فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة, واستحالت البلية عطية, وصار المكروه محبوبا. فإن الله لم يبتله ليهلكه. و إنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته. فإن لله تعالى على العبد عبودية الضراء, وله عبودية عليه فيما يكره كما له عبودية فيما يحب. وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون". (انظر: الوابل الصيب ص ٥)

[2] أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله, هدى الله قلبه, وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا. وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه, أو خيرا منه (انظر: تفسير ابن كثير ٨/١٣٧)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اثنتان في الناس هما بهم كفر[١] : الطعن في النسب، والنياحة على الميت[٢]."

ولهما[٣] عن ابن مسعود مرفوعا : "ليس منا[٤] من ضرب الخدود، وشق الجيوب[٥]، ودعا بدعوى الجاهلية[٦]."

---

[١] قال ابن تيمية : "هما قائمتان بالناس لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير الكفر كافرا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر, كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنا حتى يقوم به أصل الإيمان". (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٢٣٧/١)

[٢] قال ابن الجوزي : "في المراد بالكفر وجهان : أحدهما : أن يكون كفر النعمة. فإن من طعن في نسب غيره فقد كفر بنعمة الله عليه بسلامته من ذلك الطعن. ومن ناح على ميت فقد كفر نعمة الله عليه إذ لم يكن هو الميت. والثاني : أن يكون المعنى أنهما من أفعال الكفار لا من خلال المسلمين". (انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ٥٥٦/٣)

[٣] أي البخاري ومسلم

[٤] قال ابن حجر: "وهذا في حق من لا يستحل ذلك. فأما من يستحله فإنه يكفر باستحلال المحرم بشرطه". وقال : "والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله ليكون أبلغ في الزجر. وكان سفيان بن عيينة ينكر على من يصرفه عن ظاهره فيقول : معناه ليس على طريقتنا, ويرى أن الإمساك عن تأويله أولى". (انظر: فتح الباري ٢٤/١٣)

[٥] وهي مدخل الرأس من الثياب

[٦] وهو ما كانت العرب تقوله عند موت الميت كقولهم : واجبلاه, واسنداه, وسيداه, وأشباهها (انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٣٧٣/١)

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة[١] في الدنيا[٢]. وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه[٣] بذنبه حتى يوافى به[٤] يوم القيامة".[٥]

وقال صلى الله عليه وسلم : "إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء[٦]. وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم. فمن رضي فله الرضى، ومن سخِط فله السُخط". حسنه الترمذي[٧].

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية التغابن.

الثانية : أن هذا[٨] من الإيمان بالله.

الثالثة : الطعن في النسب.

---

[١] من الابتلاء والمكاره

[٢] ليخرج منها وليس عليه ذنب

[٣] أي أخر عنه ما يستحقه من العقوبة

[٤] أي جزاء و افيا

[٥] رواه الترمذي وصححه الألباني

[٦] كما قال بعضهم : الجزاء من جنس العمل

[٧] وكذا رواه ابن ماجه, وحسنه الألباني

[٨] أي الصبر

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة : إرادة الله به الشر.

السابعة : علامة حب الله للعبد.

الثامنة : تحريم السخط.

التاسعة : ثواب الرضى بالبلاء.

باب (٣٥) ما جاء في الرياء[1]

وقول الله تعالى : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً[2]} [الكهف : ١١٠]

وعن أبي هريرة مرفوعا : "قال تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشِركه". رواه مسلم.

---

[1] وقد تقدم الكلام في الرياء في خلال باب (٣) : الخوف من الشرك

[2] قال الواحدي : "نزلت هذه الآية في النهي عن الرياء بالأعمال". (انظر: التفسير الوجيز ص ٦٧٤)

وعن أبي سعيد مرفوعا : "ألا أخبركم بما هو أخوَف عليكم عندي من المسيح الدجال[1]؟" قالوا : بلى يا رسول الله. قال : "الشرك الخفي, يقوم الرجل فيصلي فيزيّن صلاته لِما يرى من نظر رجل إليه". رواه أحمد[2].

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف.

الثانية : الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة : أن من الأسباب : أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة : خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء.

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.

---

[1] وسمي الدجال مسيحا لأن عينه الواحدة ممسوحة. وقيل : لأنه يمسح الأرض أي يقطعها

[2] وابن ماجه, وصححه الألباني

باب (٣٦) من الشرك : إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود : ١٥]

في الصحيح[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تَعِس[٢] عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخَمِيصة[٣]، تعس عبد الخَمِيلة[٤]، إن أُعطي رضي, وإن لم يعط سخِط, تعس و انتكس[٥]. وإذا شيك[٦] فلا انتقش[٧]. طوبى لعبد آخذ بعِنان[٨] فرَسه في سبيل الله، أشعثَ رأسُه[٩]، مُغبَرَّة قدَماه, إن كان في

---

[١] أي صحيح البخاري

[٢] أي شقي

[٣] الخميصة نوع من الأكسية. وهي ثوب خز أو صوف معلم. وخصت بالذكر لأن الغالب في لبسها الخيلاء والرياء والسمع

[٤] الخميلة هي كل ثوب له خمل من أي شيء كان

[٥] انتكس رجل إذا سقط على رأسه. والمراد به الدعاء بالخيبة والخسران

[٦] أي إذا شاكته شوكة في جسده

[٧] أي فلا يقدر على انتقاش الشوكة أي إخراجها

[٨] أي لِجام

[٩] أي وقع على رأسه أثار الغبار

الحِراسة[1] كان في الحراسة، وإن كان في الساقة[2] كان في الساقة[3]، إن استأذن لم يؤذن له, وإن شفع لم يُشفَّع".

فيه مسائل :

الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية : تفسير آية هود.

الثالثة : تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة : تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط.

الخامسة : قوله : "تعس و انتكس".

السادسة : قوله : "وإذا شيك فلا انتقش".

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

---

[1] أي في حراسة العدو, وذلك يكون في مقدمة الجيش

[2] وهي في مؤخر الجيش

[3] والمعنى أنه يأتمر بما أُمر, ويقوم فيما أقيم

باب (٣٧) من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله[1]

وقال ابن عباس : "يُوشِك أن تَنْزِل عليكم حجارة من السماء, أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟".[2]

وقال الإمام أحمد : ".عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول : {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

---

[1] لقول الله تعالى : (ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) [التوبة : ٣١]. وقد تقدم تفسير هذه الآية في خلال باب (٥) : تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

[2] ونحوه ما رواه أحمد وغيره, وصححه أحمد شاكر حينما قال ابن عباس : تمتع النبي صلى الله عليه وسلم, فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة, فقال ابن عباس : ما يقول العُريّة؟ قال : يقول : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة, فقال ابن عباس : أُراهم سيهلكون أقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم, ويقول : نهى أبو بكر وعمر. ونقل ابن القيم عن الشافعي أنه يقول : "أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس". (انظر: إعلام الموقعين ٦/١)

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ[1] أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[2]} [النور : ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة : الشرك. لعله إذا ردّ بعضَ قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيَهلِكَ[3]."

عن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية : {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة : ٣١], فقلت له : إنا لسنا نعبدهم. قال : "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟". فقلت : بلى. قال : "فتلك عبادتهم[4]". رواه أحمد والترمذي وحسنه.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النور.

الثانية : تفسير آية براءة.

---

[1] أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة (انظر: تفسير ابن كثير ٦/٩٠)

[2] أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك (انظر: تفسير ابن كثير ٦/٩٠)

[3] قال ابن تيمية : "كان أئمة المسلمين لا يتكلمون في شيء أنه بدعة وطاعة وقربة إلى بدليل شرعي و اتباع لمن قبلهم لا يتكلمون في الدين بلا علم, فإن الله حرم ذلك". (انظر: مجموع الفتاوى ٢٧/٣٧٤)

[4] لأن من أطاع مخلوقا في معصية الخالق واعتقد جواز طاعته أو وجوبها, فقد أشرك بهذا الاعتبار حيث جعل التحليل والتحريم لغير الله (انظر: الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب ص ١٥)

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي[1].

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة : تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادةُ الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الوَلاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

---

[1] ظن عدي رضي الله عنه أن العبادة في السجود والركوع لهم فقط. فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن العبادة تشمل أيضا طاعتهم في تحريم الحلال, وتحليل الحرام

باب (٣٨) قول الله تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً[١]} [النساء : ٦٠]

وقوله : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ[٢]} [البقرة : ١١]

وقوله : {وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا[٣] وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف : ٥٦]

وقوله : {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[٤]} [المائدة : ٥]

---

[١] وهذا تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم من جهل من يعدل عن حكم الله إلى حكم الطاغوت مع زعمه بأنه يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم (انظر: التفسير الوجيز ص ٢٧١)

[٢] وقيل : المعنى : لا تعصوا في الأرض. وكان فسادهم ذلك معصية الله, لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض. لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة (انظر: تفسير الطبري ١/٢٨٨)

[٣] أي بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحق, و إيضاحه حججه لهم (انظر: تفسير الطبري ١٢/٣٨٧)

[٤] أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به و أيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها. فإنه تعالى

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه[1] تبعا لما جئت به[2][3]."

هو العالم بكل شيء, القادر على كل شيء, العادل في كل شيء (انظر: تفسير ابن كثير ٣/١٣١)

[1] أي ميل نفسه. سمي به لأنه يهوي صاحبه في الدنيا إلى الداهية, وفي الآخرة إلى الهاوية (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/٢٥٥)

[2] معنى الحديث : فهو أن الإنسان لا يكون مؤمنا كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي وغيرها, فيحب ما أمر به, ويكره ما نهى عنه. وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع, قال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا) [النساء : ٦٥], وقال تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا) [الأحزاب : ٣٦] (انظر: جامع العلوم والحكم ٢/٣٩٦)

[3] رواه ابن أبي عاصم في السنة, و ابن بطة في الإبانة, والخطيب في تاريخ بغداد, والبغوي في شرح السنة, وصححه الحافظ أبو نعيم في الأربعين والنووي

قال النووي : حديث صحيح، رُويناه في كتاب الحجة[١] بإسناد صحيح[٢].

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة, فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد, لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود, لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنَزلت : {أَلَمْ تَرَإِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ} الآية [النساء : ٦٠][٣].

وقيل : نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر. فذكرله أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله[٤].

---

[١] يريد بصاحب كتاب الحجة الشيخَ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق. وكتابه هذا هوكتاب الحجة على تارك المحجة يتضمن ذكرأصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة (انظر: جامع العلوم والحكم ٢/٣٩٣)

[٢] انظر: الأربعون النووية ص ٤١

[٣] رواه ابن جريرفي تفسيره. هذا الأثرمرسل, والمرسل من أقسام الضعيف (انظر: فتح الرب الحميد ص ٤٢٥)

[٤] رواه الواحدي في أسباب النزول, والبغوي في التفسير. فيه الكلبي كذاب, وفيه أبو صالح, قال عنه ابن حبان : أبو صالح لم يرابن عباس, ولا سمع

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء، وما فيها من الإعانة على معرفة فهم الطاغوت.

الثانية : تفسير آية البقرة : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ}.

الثالثة : تفسير آية الأعراف : {وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا}.

الرابعة : تفسير {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}.

الخامسة : ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة : تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة : قصة عمر مع المنافق.

الثامنة : كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

منه شيئا, ولا سمع الكلبي من أبي صالح. وقال : قال لي أبو صالح : كل ما حدثتك فهو كذب (انظر: المجروحين ٢/٢٥٥)

باب (٣٩) من جحد[1] شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ[2] قُلْ هُوَ رَبِّي[3] لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠]

وفي صحيح البخاري قال علي: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولهُ؟".

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض[4] لمّا سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] الجحد: الإنكار وهو ضد الإقرار. ولا يكون الجحد إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح, قال الله تعالى عن فرعون وقومه: (وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ) [النمل: ١٤]

[2] أي هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن, لا يقرون به, لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم. ولهذا أنِفوا يوم الحديبية أن يكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم, وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم؟ وقد قال الله تعالى: (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) [الإسراء: ١١٠], وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن". رواه مسلم (انظر: تفسير ابن كثير ٤/٤٦٠)

[3] أي هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به معترف مقر له بالربوبية والإلهية, هو ربي لا إله إلا هو (انظر: تفسير ابن كثير ٤/٤٦٠)

[4] أي اضطرب

في الصفات - استنكارا لذلك - فقال : ما فَرَقُ هؤلاء[1]؟ يجدون رِقّة[2] عند محكمه[3]، ويهلكون عند متشابهه[4][5]." انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر" الرحمن " أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم : {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ}[6] [الرعد : ٣٠]

---

[1] أي ما خوف هؤلاء؟ فإنهم كانوا لا يؤمنون بآيات الصفات. و إنما كانوا ينتفضون خائفين عند سماعها منكرين لها (انظر: فتح الرب الحميد ص ٤٣٠).

[2] أي لينا في قلوبهم

[3] الآيات المحكمة : هي التي لا تحتمل إلا معنى واحدا أو ما ظهر معناها

[4] الآيات المتشابهة : هي التي تحتمل أكثر من معنى واحد أو ما لم يظهر معناها

[5] ونحوه رواه ابن أبي عاصم في السنة عن أبي هريرة, قال الألباني في ظلال الجنة : إسناده صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم غير ابن ثور واسمه محمد وهو ثقة اتفاقا

[6] عندما جاء سُهيل بن عمرو فقال : هاتِ اكتب بيننا وبينكم كتابا, فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب, فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم, قال السهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو, ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنتَ تكتب, فقال المسلمون : واللهِ لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم, فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم. رواه البخاري

فيه مسائل :

الأولى : عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية : تفسير آية الرعد.

الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة : ذكر العلة : أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكِر.

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك، و أنه أهلكه.

باب (٤٠) قول الله تعالى : {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا[١] وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل : ٨٣]

قال مجاهد ما معناه : "هو قول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي"[٢].

وقال عون بن عبد الله : "يقولون : لولا فلان لم يكن كذا"[٣].

---

[١] اختلف المفسرون في المعنى بالنعمة التي أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها مع معرفتهم بها. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال : عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله تعالى : (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ) النعمة عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم داعيا إلى ما بعثه بدعائهم إليه (انظر: تفسير الطبري ١٧/٢٧٣-٢٧٤)

[٢] انظر: تفسير الطبري ١٧/٢٧٣

[٣] انظر: تفسير الطبري ١٧/٢٧٣

وقال قتيبة : "يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا"[1].

وقال أبو العباس[2] بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : أن الله تعالى قال : "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر"[3]. الحديثَ, وقد تقدم : "وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به"[4].

قال بعض السلف : "هو كقولهم : كانت الريح طيبة، والملّاح[5] حاذقا[6]", ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة و إنكارها.

الثانية : معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير.

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكارا للنعمة.

الرابعة : اجتماع الضدين في القلب.

---

[1] انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٤٨

[2] أي ابن تيمية

[3] متفق عليه

[4] انظر: مجموع الفتاوى ٨/٣٣

[5] هو قائد السفينة

[6] أي ماهرا خبيرا

باب (٤١) قول الله تعالى : {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً[1] وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة : ٢٢]

قال ابن عباس في الآية : "الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صَفاة[2] سوداء في ظُلمة الليل. وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان، وحياتي, وتقول : لولا كُلَيْبَة[3] هذا لأتانا اللصوص. ولولا البَطُّ في الدار لأتانا اللصوص, وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت, وقول الرجل : لولا الله وفلان, لا تجعلْ فيها فلانا. هذا كله به شرك". رواه ابن أبي حاتم[4].

---

[1] الأنداد جمع ند, وهو المثل والنظير

[2] أي الحجارة الأملس

[3] تصغير كلبة

[4] فيه شبيب بن بشر صدوق يخطئ كما قال ابن حجر في التقريب, وبقية رجاله ثقات

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك[1]". رواه الترمذي[2]، وحسنه وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود : "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقا[3][4]."

---

[1] يحتمل أن يكون شكا من الراوي, ويحتمل أن تكون أو بمعنى الواو, فيكون قد كفر أو أشرك. ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر, كما هو من الشرك الأصغر (انظر: فتح المجيد ص ٤١٣). والتعبير بقوله : فقد كفر أو أشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك. وظاهر الحديث تخصيص الحلف بالله خاصة, لكن قد اتفق الفقهاء على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية, واختلفوا في انعقادها ببعض الصفات. وقال العلماء : السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه, والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده. هكذا قاله ابن حجر (انظر: فتح الباري ٥٣١/١١)

[2] وأحمد

[3] وذلك بأنه إذا حلف بالله فقد جمع سيئة الكذب مع حسنة التوحيد. وإذا حلف بغيره فقد جمع مع الصدق سيئة الشرك, والتوحيد أعظم من الصدق, والشرك أعظم من الكذب (انظر: جواب في الحلف بغير الله ص ٢٦)

[4] رواه عبد الرزاق في مصنفه و ابن أبي شيبة والطبر اني, وصححه الألباني في الإرواء

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان[١]". رواه أبو داود[٢] بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول : أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول : بالله ثم بك[٣]. قال : ويقول : لولا الله ثم فلان. ولا تقولوا ولولا الله وفلان".[٤]

---

[١] وذلك أن الواو حرف الجمع والتشريك, وثم حرف النسق بشرط التراخي, فأرشدهم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله سبحانه على مشيئة من سواه (انظر: معالم السنن ٤/١٣٠-١٣١)

[٢] وأحمد والنسائي في الكبرى, وصححه الألباني

[٣] هذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء. وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك. وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر, فلا يقال في حقهم شيء من ذلك. فلا يجوز التعلق على هذا القول بشيء ما بوجه من الوجوه (انظر: فتح المجيد ص ٤١٦)

[٤] رواه معمر ابن راشد في الجامع

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية : أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر[1].

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقا فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة : الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

---

[1] لأن هذه الآية نزلت في كفار قريش, وشركهم شرك أكبر, ومع ذلك استدل ابن عباس على الشرك الأصغر

باب (٤٢) ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تحلِفوا بآبائكم[١], من حلف له بالله فليصدُق[٢].ومن حُلف له بالله فليْرضَ[٣]. ومن لم يرض فليس من الله[٤]". رواه ابن ماجه[٥] بسند حسن.

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية : الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة : وعيد من لم يرض.

---

[١] لأن ذلك من أيمان الجاهلية

[٢] فلا يكذِب

[٣] هذا إن لم يعلم كذب الحالف

[٤] أي فقد برئ الله منه. لأن ذلك يدل على قلة تعظيمه من جناب الربوبية

[٥] وصححه الألباني

باب (٤٣) قول : ما شاء الله وشئت[1]

عن قُتيلة : "أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تشركون، تقولون : ما شاء الله وشئت، وتقولون : و[2]الكعبةِ. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت".[3] رواه النسائي وصححه.

وله[4] أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما : "أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت. فقال : "أجعلتني لله ندا؟ ما شاء الله وحده".

ولابن ماجه[5] عن الطفيل - أخي عائشة لأمها - قال : "رأيتُ كأني أتيت على نفر من اليهود, قلت : إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله. قالوا : و إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله

---

[1] يكون شركا أكبر إن اعتقد أن المعطوف مساو لله تعالى. ويكون شركا أصغر إن اعتقد أن المعطوف أقل من الله تعالى (انظر: فتح الرب الحميد ص ٤٤٦)

[2] وهي واو القسم

[3] ويستفاد من هذا الحديث : أخذ الحق ولو من لسان الأعداء

[4] أي رواه النسائي وكذا أحمد و ابن ماجه, وصححه أحمد شاكر والألباني

[5] وأحمد, وصححه الألباني

وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى, فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله. قالوا : و إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها مَن أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، قال : "هل أخبرت بها أحدا؟". قلت : نعم. قال : فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال : "أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، و إنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده".

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية : فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة : قوله صلى الله عليه وسلم : "أجعلتني لله ندا؟". فكيف بمن قال : "يا أكرم الخلق, ما لي من أَلُوذ[1] به سواك", والبيتين بعده؟.[2]

---

[1] أي أعتصم وألجأ

[2] ويقصد المؤلف ما قاله البوصيري في البُردة :

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِيْ مَنْ أَلُوْذُ بِهِ	سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
وَلَنْ يَضِيْقَ رَسُوْلَ اللهِ جَاهُكَ بِيْ	إِذَا الْكَرِيْمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ
فَإِنَّ مِنْ جُوْدِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا	وَمِنْ عُلُوْمِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله : " يمنعني كذا وكذا".[1]

الخامسة : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي[2].

السادسة : أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام[3].

---

[1] إذ لو كان ذلك شركا أكبر لَمَا منعه شيء

[2] كما في حديث : "الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة". رواه الشيخان. واختلف أهل العلم في معنى هذا الحديث. قال الخطابي : "قال بعض أهل العلماء : معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على مو افقة النبوة, لأنها جزء باق من النبوة".(انظر: شرح صحيح مسلم ١٥/٢١). وقال ابن الأثير : "ليس المعنى أن النبوة تتجزأ, ولا أن من جمع هذه الخلال كان فيه جزء من النبوة, فإن النبوة غير مكتسَبة ولا مجتلَبة بالأسباب, و إنما هي كرامة من الله تعالى". (انظر: النهاية في غريب الحديث ٧٤١/١)

[3] أي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وعهده

باب (٤٤) من سب الدهر[١] فقد آذى[٢] الله

وقول الله تعالى وقالوا : {مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا[٣] وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ[٤] إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ[٥]} [الجاثية : ٢٤]

---

[١] الدهر اسم للزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا

[٢] الأذى اسم لقليل الشر وخفيف المكروه لأنه لا يضر المؤذَى بخلاف الضرر

[٣] وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد, ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم, وهم ينكرون البداءة والرجعة, ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ست وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه, وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى, فكبروا المعقول وكذبوا المنقول (انظر: تفسير ابن كثير ٧/٢٦٨)

[٤] لأنهم يقولون ذلك تخرصا بغير خبر أتاهم من الله, ولا برهان عندهم بحقيقته (انظر: تفسير الطبري ٢٢/٨٠)

[٥] أي يتوهمون ويتخيلون

في الصحيح[1] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "قال تعالى : يُؤذِيني ابن آدم، يسُبّ الدهر، و أنا الدهر[2] أقلّب الليل والنهار[3]."

وفي رواية[4] : "لا تسبوا الدهر, فإن الله هو الدهر".[5]

---

[1] أي صحيح مسلم

[2] أي أفعل ما يُجرى به الدهر من السراء والضراء. فإذا سببتم الدهر, وهو لا يفعل شيئا فقد وقع السب على الله (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤٩٩/١٠)

[3] أي أصرّف الليل والنهار

[4] رواها مسلم

[5] قال ابن الأثير: "نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذم الدهر وسبه أي لا تسبوا فاعل هذه الأشياء, فإنكم إذا سببتموه وقع السب على الله تعالى, لأنه الفعال لما يريد لا الدهر. فيكون تقدير الحديث : فإن الله هو جالب للحواديث لا غيره الجالب ردا لاعتقادهم أن جالبها الدهر". (انظر: النهاية في غريب الحديث ١٤٤/٢). وقال الخطابي : "كانت العرب تسب الدهر على أنه هو المُلم بهم في المصائب والمكاره, ويضيفون الفعل فيما ينالهم منها إليه, ثم يسبون فاعلها. فيكون مرجع السب في ذلك إلى الله سبحانه إذ هو الفاعل لها. فقيل على ذلك : لا تسبوا الدهر, فإن الله هو الدهر أي إن الله هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر". (انظر: معالم السنن ١٥٨/٤-١٥٩)

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الدهر.

الثانية : تسميته آذى الله.

الثالثة : التأمل في قوله : "فإن الله هو الدهر".

الرابعة : أنه قد يكون سابا، ولو لم يقصده بقلبه.

باب (٤٥) التسمي بقاضي القضاة ونحوه[١]

في الصحيح[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن أخنع[٣] اسم عند الله رجل تَسمَّى[٤] مِلِكَ الأملاك. لا مالك إلا الله[٥]."

---

[١] كسلطان السلاطين, وأمير الأمراء, وحاكم الحكام

[٢] أي صحيح البخاري ومسلم إلا زيادة : لا مالك إلا الله, انفرد بها مسلم

[٣] أي أوضع وأذل وأحقر

[٤] أي سمى نفسه

[٥] قال مجاهد : "أكره الأسماء إلى الله ملك الأملاك. وإنما كان ملك الأملاك أبغض إلى الله وأكره إليه أن يسمى به مخلوق, لأنه صفة الله, ولا تليق بمخلوق صفاته ولا أسماؤه. ولا ينبغي أن يتسمى أحد بشيء من ذلك, لأن العباد لا يُوصفون إلا بالذل والخضوع والعبودية". (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٥٣/٩-٣٥٤)

قال سفيان : مثل شاهانْ شاهْ[1].

وفي رواية : "أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه".[2]

قوله : "أخنع" يعني أوضع.

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية : إن ما في معناه مثله كما قال سفيان.

الثالثة : التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع[3] بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة : التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه.

---

[1] هو ملك الأملاك بالفارسية

[2] رواه مسلم

[3] أي الجزم

باب (٤٦) احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُريح أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الله هو الحَكَم[١]، وإليه الحُكم[٢]". فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتَوني، فحكمت بينهم فرضي كِلا الفريقين. فقال : "ما أحسن هذا, فما لك من الولد؟". قال : شريح ومسلم وعبد الله. قال : "فمن أكبرهم؟". قلت : شريح. قال : "فأنت أبو شريح[٣]". رواه أبو داود وغيره[٤].

---

[١] قال البغوي : "والحَكم هو الحاكم الذي إذا حكم لا يُرد حكمه. وهذه الصفة لا تليق بغير الله عز وجل. ومن أسمائه الحَكم". (انظر: شرح سنة ٣٤٣/١٢)

[٢] أي منه يبتدأ الحكم وإليه ينتهي الحكم كما قال تعالى : (لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصص : ٨٨], لا راد لحكمه, ولا يخلو حكمه من حكمته. وفي إطلاق أبي الحكم على غيره يوهم الاشتراك في وصفه على الجملة (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٠٣/٧)

[٣] إن الأولى أن يكتني الرجل بأكبر بنيه. فإن لم يكن له ابن, فبأكبر بناته. وكذلك المرأة تكتني بأكبر بنيها. فإن لم يكن لها ابن, فبأكبر بناتها. وكان اسم أم سلمة هند, فتكنت بابنه لها يقال سلمة. وأم حبيبة اسمها رملة, فتكنت بحبيبة (انظر: شرح السنة ٣٤٤/١٢)

[٤] هو النسائي, وصححه الألباني

فيه مسائل :

الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه.

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية.

باب (٤٧) من هزل[١] بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى : {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ[٢]} [التوبة : ٦٥]

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قُرائنا هؤلاء, أرغبَ بطونًا[٣]، ولا أكذب ألسُنا[٤]، ولا أجبن عند اللقاء[٥] - يعني

---

[١] أي استهزأ

[٢] قال ابن تيمية : "هذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر. فالسب المقصود بطريق الأولى. وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم جادا أو هازلا فقد كفر". (انظر: الصارم المسلول ص ٣١)

[٣] أي أوسع بطونا. ويراد به كثرة الأكل

[٤] أي أكثر كذبا من الكلام

[٥] أي أكثر خوفا عن لقاء العدو

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء - فقال له عوف بن مالك : كذبت، ولكنك منافق، لأُخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديثَ الرَكْب نقطع به عناءَ[1] الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنِسعة[2] ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تَنكُب[3] رجليه، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : {أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} [التوبة : ٦٥] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.[4]

[1] أي مشقة

[2] النِسعة بالكسر سَير مضفور يُجعل زماما للبعير وغيره, وقد تُنسج عريضة تُجعل على صدر البعير (انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/٤٨)

[3] أي تضرب وتصيب

[4] رواه ابن جرير و ابن أبي حاتم في تفسيريهما

فيه مسائل :

الأولى : وهي العظيمة أن من هزل بهذا إنه كافر.

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان.

الثالثة : الفرق بين النميمة، وبين النصيحة لله ولرسوله[1].

الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله، وبين الغلظة على أعداء الله[2].

الخامسة : أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل.

---

[1] فما فعله عوف بن مالك رضي الله عنه ليس نميمة, لأنها نقل الحديث للإفساد بين الناس, بخلاف هذا

[2] فلا يعفو الله المنافقين لأنه علم على أنهم يستحقون بذلك بهزلهم واستهزائهم

باب (٤٨) قول الله تعالى : {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} الآية [فصلت : ٥٠]

قال مجاهد : "هذا بعملي، و أنا محقوق به[١][٢]."

وقال ابن عباس : "يريد من عندي[٣][٤]."

وقوله {قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ[٥]} [القصص : ٧٨], قال قتادة : "على علم مني بوجوه المكاسب[٦]."

وقال آخرون : "على علم من الله أني له أهل", وهذا معنى قول مجاهد : "أُوتيته على شرَف".

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص و أقرع وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا, فأتى الأبرص فقال : أيُّ شيء أحب إليك؟ قال :

---

[١] أي أنا مستحق به

[٢] انظر: تفسير الطبري ٤٩١/٢١

[٣] لا من عند الله. ويقول هذا القول كفرا بنعمة الله

[٤] انظر: تفسير القرطبي ٣٧٣/١٥

[٥] أي إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحق وأهل به, ولمحبته لي (انظر: تفسير ابن كثير ٢٥٤/٦)

[٦] أي بكيفية حصول المكاسب

لون حسن وجِلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني[1] الناس به. قال : فمسحه فذهب عنه قذره، فأُعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال : فأي المال أحب إليك؟ قال الإبل أو البقر - شك إسحاق - فأعطي ناقة عُشراء[2]، وقال : بارك الله لك فيها. قال : فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك؟ قال : شَعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، فقال : أي المال أحب إليك؟ قال : البقر أو الإبل. فأعطي بقرة حاملا، قال : بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك؟ قال : أن يردّ الله إلي بصري فأُبصر به الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره. قال : فأي المال أحب إليك؟ قال : الغنم، فأعطي شاة والدا[3]. فأنتج هذان[4] وولّد هذا[5]. فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال : ثم إنه أتى الأبرص

---

[1] أي كرهني

[2] أي مضى لها عشرة أشهر. وكانت أنفَس أموال العرب لقرب ولادتها ورجاء لبنها (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/٥١٥)

[3] أي ذات ولد

[4] أي صاحب الإبل والبقرة

[5] أي صاحب الشاة

في صورته وهيئته، فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحِبال[1] في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلّغ[2] به في سفري. فقال : الحقوق كثيرة. فقال : كأني أعرفك. ألم تكن أبرص يقذَرك الناس فقيرا, فأعطاك الله المال؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر. فقال : إن كنت كاذبا فصيّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته, فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأعمى في صورته، فقال : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودَعْ ما شئت، فوالله لا أجهَدك[3] اليوم بشيء أخذتَه لله. فقال : أمسِكْ مالك فإنما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك وسخِط على صاحبيك". أخرجاه

[1] الحبال : الطرق. وقيل هي الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥١٦/٨, فتح الباري لابن حجر ٥٠٢/٦)

[2] أي أتوصل

[3] أي لا أبلغ جهدا أو مشقةً في منعك

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية.

الثانية : ما معنى : {لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} [فصلت : ٥٠]

الثالثة : ما معنى قوله : {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} [القصص : ٧٨]

الرابعة : ما في هذه القصة العجيبة من العبَر العظيمة[1].

[1] في هذا الحديث الحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم ما يطلبون مما يمكن, والحذر من كسر قلوبهم واحتقارهم. وفيه التحدث بنعمة الله تعالى وذم جحدها (انظر: شرح صحيح مسلم ١٨/١٠٠). وقال ابن حجر: "وفي الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه, ولا يكون ذلك غيبة فيهم. ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم الخ". (انظر: فتح الباري ٦/٥٠٣)

باب (٤٩) قول الله تعالى : {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الأعراف : ١٩٠]

قال ابن حزم : "اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب[١][٢]".

وعن ابن عباس في الآية قال : "لما تغشّاها[٣] آدم حملت, فأتاهما إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أُخرجكما من الجنة, لَتُطيعانِّني, أو لأجعلنّ له قرنَي إيّل، فيخرج من بطنك, فيشقّه، ولأفعلن يخوّفهما، سمِّياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم

---

[١] قال الدكتور خالد الجهني : "ولكن الصحيح تحريم التعبيد أيضا للمطلب, إذ لا يوجد دليل على الاستثناء. وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم : "أنا ابن عبد المطلب", فقد قاله على سبيل الإخبار, وليس على سبيل التعبيد". (انظر: فتح الرب الحميد ص ٤٧٨-٤٧٩). وقال ابن القيم : "أما قوله : "أنا ابن المطلب",فهذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك. وإنما هو باب الإخبار الذي عُرف به المسمى دون غيره. والإخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لا يحرم. ولا وجه لتخصيص أبي محمد بن حزم ذلك بعبد المطلب خاصة. فقد كان الصحابة يسمون بني عبد شمس, وبني عبد الدار بأسمائهم, ولا ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم. فباب الإخبار أوسع من باب الإنشاء, فيجوز ما لا يجوز في الإنشاء". (انظر: تحفة المودود بأحكام المولود ص ١١٤)

[٢] انظر: مراتب الإجماع ص ١٥٤

[٣] أي تدخل بها

حملت, فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا, ثم حملت, فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمَّياه عبد الحارث، فذلك قوله : {جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} [الأعراف : ١٩٠]".[1] رواه ابن أبي حاتم[2].

---

[1] وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير, ومن الطبقة الثانية : قتادة والسدي, وجماعة من الخلف, ومن المفسرين ومن المتأخرين جماعات لا يحصون كثيرة (انظر: فتح المجيد ص ٤٢٣). وقال ابن كثير: "وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب. وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إذا حدثكم أهل الكتاب, فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم". ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام : فمنها : ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله. ومنها : ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضا. ومنها : ما هو مسكوت عنه. فهو المأذون في روايته بقوله صلى الله عليه وسلم : "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج". وهو الذي لا يُصدق ولا يُكذب, لقوله : "فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم". وهذا الأثر هل هو من القسم الثاني والثالث؟ فيه نظر. فأما من حدّث به من صحابي أو تابعي, فإنه يراه من القسم الثالث. وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا - والله أعلم -, و أنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء. و إنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. ولهذا قال الله : {فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}". (انظر: تفسير ابن كثير ٥٢٨/٣)

[2] في تفسيره, وكذا سعيد بن منصور في تفسيره. فيه خصيف بن عبد الرحمن الجزري, قال عنه ابن حجر في التقريب : صدوق سيء الحفظ خلط

وله[1] بسند صحيح عن قتادة قال : "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته[2]."

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً} [الأعراف : ١٩٠] قال: "أشفقا[3] أن لا يكون إنسانا[4]."

وذكر[5] معناه عن الحسن[6] وسعيد[7] وغيرهما.

بأخرة, ورمي بالإرجاء. وفيه شريك القاضي, قال عنه ابن حجر في تقريب : صدوق يخطئ كثيرا تغير حفظه

[1] أي ابن أبي حاتم في تفسيره

[2] أي لكونهما أطاعاه في التسمية بعبد الحارث, لا أنهما عبداه. فهو دليل على الفرق بين شرك الطاعة وبين شرك العبادة. أما شرك الطاعة فيكون في امتثال الأمر بدون محبة وتعظيم. أما شرك العبادة فيكون مع محبة وتعظيم (انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٥٥١, فتح الرب الحميد ص ٤٨١)

[3] أي خافا

[4] كأن يكون بهيمة

[5] أي ابن أبي حاتم في تفسيره

[6] أي البصري. وقد تقدم تفسير الحسن البصري أن المراد من الآية ليس آدم وحواء. واختاره ابن كثير

[7] أي ابن جبير

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله.

الثانية : تفسير الآية.

الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تُقصد حقيقتها.

الرابعة : أن هبة الله للرجل البنتَ السويّة من النعم[1].

الخامسة : ذَكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

---

[1] بخلاف بعض الناس يظنون أن البنت من النقم

باب (٥٠) قول الله تعالى : {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا[١] وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ[٢] فِي أَسْمَائِهِ[٣]} [الأعراف : ١٨٠]

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : {يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} يشركون.

وعنه : "سمَّوا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

---

[١] فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى. وكذلك لا يُسأل إلا بها. فلا يقال : يا موجود, أو يا شيء, أو يا ذات اغفر لي وارحمني, بل يسأل في مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب. فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم. ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم وإمامهم, وجدها مطابقة لهذا (انظر: بدائع الفوائد ١/١٦٤)

[٢] الإلحاد في أسماء الله : تسميته بما لم يتسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر: تفسير البغوي ٢/٢٥٤). قال ابن القيم : "والإلحاد في أسمائه هو العدول بها بحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها. وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته ل ح د, فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط, ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل". (انظر: بدائع الفوائد ١/١٦٩)

[٣] قال ابن القيم : "وتفرقت بهم - أي الملحدين - طرقه وبرأ الله أتباع رسول الله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله. فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه, ولم يجحدوا صفاته, ولم يشبهوها بصفات خلقه, ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى, بل أثبتوا له الأسماء والصفات, ونفوا عنه مشابهة المخلوقات. فكان إثباتهم برئا من التشبيه, وتنزيههم خليا من التعطيل, لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما, أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدما". (انظر: بدائع الفوائد ١/١٧٠)

وعن الأعمش : "يُدخلون فيها ما ليس منها".

فيه مسائل :

الأولى : إثبات الأسماء.

الثانية : كونها حسنى.

الثالثة : الأمر بدعائه بها.

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين[١].

الخامسة : تفسير الإلحاد فيها.

السادسة : وعيد من ألحد.

باب (٥١) لا يقال : السلام[٢] على الله[٣]

في الصحيح[٤] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا : السلام على الله من

---

[١] وليس المراد ترك بيان الحق لهم

[٢] السلام هو اسم من أسماء الله تعالى. وله معنيان : أحدهما السلامة من النقائص والعيوب والآفات, والثاني التحية

[٣] لأن الله هو السلام, فلا يصلح عليه, بل كل السلام والتحية له ومنه

[٤] أي صحيح البخاري, وكذا مسلم باختلاف يسير

عباده، السلام على فلان وفلان, فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام[1][2]".

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام.

الثانية : أنه تحية.

الثالثة : أنها لا تصلح لله.

الرابعة : العلة في ذلك.

الخامسة : تعليمهم التحية التي تصلح لله[3].

---

[1] المراد أن الله هو ذو السلام, فلا تقولوا : السلام على الله, فإن السلام منه بدأ وإليه يعود. ومرجع الأمر في إضافته إليه أنه ذو السلام من كل آفة وعيب. ويحتمل أن يكون مرجعها إلى حظ العبد فيما يطلبه من السلامة من الآفات والمهالك (انظر: شأن الدعاء للخطابي ص ٤١). قال ابن الأنباري : "فأمرهم - صلى الله عليه وسلم - أن يصرفوه إلى الخلق لحاجتهم إلى السلامة وغناه تعالى عنه" (انظر: فتح الباري ٢/٣١٢)

[2] وتمام الحديث : "ولكن قولوا :التحيات لله والصلوات والطيبات, السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته, السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين, فإنكم إذا قلتم, أصاب كلَّ عبد في السماء أو بين السماء والأرض, أشهد أن لا إله إلا الله, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله, ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه, فيدعو".

[3] كما في قوله صلى الله عليه وسلم : "التحيات لله الخ".

باب (٥٢) قول : اللهم اغفرلي إن شئت[1]

في الصحيح[2] عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا يقل[3] أحدكم : اللهم اغفرلي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، لِيعزِمِ المسألة, فإن الله لا مكرِه له[4]."

---

[1] قال سفيان بن عيينة : "لا يمنعنّ أحد من الدعاء ما يعلم من نفسه, فإن الله تعالى قد أجاب دعاء شر الخلق إبليس : (قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥) [الأعراف : ١٤-١٥]". (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/٩٩-١٠٠)

[2] أي صحيح البخاري ومسلم

[3] النهي يحمل على الكراهة (انظر: شرح صحيح مسلم ١٧/٧, فتح الباري لابن حجر ١١/١٤٠)

[4] قيل : كراهة الاستثناء هنا لوجهين : أحدهما : أن مشيئة الله ثابتة معلومة, و أنه لا يفعل من ذلك إلا ما شاء. و إنما يتحقق استعمال المشيئة في حق من يتوجه عليه الإكراه, والله منزه عن ذلك. والوجه الآخر: أن في هذا اللفظ ظهور الاستغناء, إذ لا يستعمل هذا اللفظ إلا فيما لا يضطر إليه الإنسان. فأما ما يضطر إليه فإنه يعزم عليه ويُلِحّ فيه (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/١٧٨)

ولمسلم : "وَلْيعظِّمِ الرغبة[١]، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه[٢]."

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الاستثناء[٣] في الدعاء.

الثانية : بيان العلة في ذلك.

الثالثة : قوله : "ليعزم المسألة".

الرابعة : إعظام الرغبة.

الخامسة : التعليل لهذا الأمر.

باب (٥٣) لا يقول[٤] : عبدي وأمتي

في الصحيح[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا يقل أحدكم : أطعم ربك، وضّيء ربك, وليقل :

---

[١] أي يبالغ في ذلك بتكرار الدعاء والإلحاح فيه. ويحتمل أن يراد به الأمر بطلب الشيء العظيم الكثير (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٥٢٤/٤)

[٢] بل جميع الموجودات في أمره يسير. لأنه على كل شيء قدير

[٣] أي بالمشيئة

[٤] النهي للأدب والكراهية للتنزيه لا للتحريم

[٥] أي صحيح البخاري ومسلم

سيدي ومولاي[1]. ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي[2]."

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن قول : عبدي وأمتي.

الثانية : لا يقول العبد : ربي، ولا يقال له : أطعم ربك.

الثالثة : تعليم الأول قولَ : فتاي، وفتاتي، وغلامي.

الرابعة : تعليم الثاني قولَ : سيدي ومولاي.

الخامسة : التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

---

[1] المولى وقع على ستة عشر معنى, منها : الناصر, والمالك, والمنعِم بالتعق, والمنعَم عليه, وابن العم, والحليف (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٨٩/٧)

[2] لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى, ولأن فيها تعظيما بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم العلة في ذلك, فقال : "لا يقولنّ أحدكم : عبدي وأمتي, كلكم عبِيد الله وكل نسائكم إماء الله, ولكن ليقل : غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي". رواه مسلم. فنهى عن التطاول في اللفظ كما نهى عن التطاول في الأفعال وفي إسبال الإزار وغيره. وأما غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي فليست دالة على الملك كدلالة عبدي مع أنها تطلق على الحر والمملوك. وإنما هي للاختصاص, قال الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ) [الكهف : ٦٠], (وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ) [يوسف : ٦٢] (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٨٩/٧)

باب (٥٤) لا يُرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من سأل بالله فأعطوه[1]، ومن استعاذ بالله فأعيذوه[2]، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا[3] فكافئوه[4]، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه". رواه أبو داود والنسائي[5] بسند صحيح.

---

[1] والأمر هنا للوجوب ما لم يتضمن السؤال إثما أو ضررا على المسئول, لأن في إعطائه إجابة لحاجته وتعظيما لله عزوجل الذي سأل به (انظر: القول المفيد ٢/٣٤٩-٣٥٠)

[2] وادفعوا عنه الشر منكم أو من غيركم تعظيما لاسم الله تعالى

[3] أي أحسن إليكم إحسانا قوليا أو فعليا

[4] أي أحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم لقوله تعالى : (وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ) [القصص : ٧٧] , وقوله تعالى : (هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ) [الرحمن : ٦٠]

[5] وأحمد, وصححه أحمد شاكر والألباني

فيه مسائل :

الأولى : إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية : إعطاء من سأل بالله.

الثالثة : إجابة الدعوة.

الرابعة : المكافأة على الصنيعة.

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة : قوله : "حتى ترون أنكم قد كافأتموه".

باب (٥٥) لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يُسأل[١] بوجه الله[٢] إلا الجنة[٣]". رواه أبو داود[٤].

---

[١] بالجزم على النهي التنزيهي، وبالرفع خبر بمعنى النهي (انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٨/٥٤٠)

[٢] قال ابن القيم: "كان طاوس يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله. وجاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز فرفع إليه حاجته ثم قال: أسألك بوجه الله، فقال عمر: لقد سألت بوجه الله، فلم يسأل شيئا إلا أعطاه إياه، ثم قال عمر: ويحك، ألا سألت بوجه الله الجنة؟ ولو كان المراد بوجهه مخلوقا من مخلوقاته لما جاز أن يقسم عليه ويسأل به، ولا كان ذلك أعظم من السؤال به سبحانه. وهذه الآثار صريحة في أن السؤال بوجهه أبلغ وأعظم من السؤال به، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يسأل بوجه الله إلا الجنة"، فدل على بطلان قول من قال: هو ذاته". (انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٤١١)

[٣] لأن اسم الله أعظم من أن يُسأل به غير الجنة من متاع الدنيا. قال الحليمي: "وأما المسئول فينبغي إذا سئل بوجه الله أن لا يمنع ولا يرد السائل، وأن يعطيه بطيب نفس و انشراح صدر لوجه الله تعالى". (انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٨/٥٤٠)

[٤] وضعفه الألباني

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية : إثبات صفة الوجه.

باب (٥٦) ما جاء في اللو[1]

[1] قال ابن تيمية : "لو تستعمل على وجهين : أحدهما : على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور, فهذا هو الذي نهى عنه كما قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ) [آل عمران : ١٥٦]. وهذا هو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : "وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا, ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل. فإن اللو تفتح عمل الشيطان", أي تفتح عليك الحزن والجزع, وذلك يضر ولا ينفع, بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك, وما أخطأك لم يكن ليصيبك, كما قال تعالى : (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ) [التغابن : ١١], قالوا : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. والوجه الثاني : أن يقال "لو" لبيان علم نافع كقوله : (لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ) [الأنبياء : ٢٢], ولبيان محبة الخير وإرادته كقوله : "لو أن لي مثل ما فلان لعملت مثل ما يعمل", ونحوه جائز (انظر : الفتاوى الكبرى ٥/٧٢)

وقول الله تعالى : {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا} الآية[1] [آل عمران : ١٥٤]

وقوله : {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا[2]} [آل عمران ١٦٨]

في الصحيح[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجِزن[4].

---

[1] وتمام الآية : (يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) [آل عمران : ١٥٤]

[2] وتمام الآية : (ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ) [آل عمران : ١٦٨]

[3] أي صحيح مسلم

[4] فيه أمر بالتسبب المأمور به وهو الحرص على المنافع, وأمر مع ذلك بالتوكل وهو الاستعانة بالله. فمن اكتفى بأحدهما فقد عصى أحد الأمرين. ونُهي عن العجز الذي هو ضد الكيس (انظر: الفتاوى الكبرى ١/١٠٩)

وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل[1], فإن "لو" تفتح عمل الشيطان[2]."

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية : النهي الصريح عن قول : "لو" إذا أصابك شيء.

الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة : الإرشاد إلى الكلام الحسن.

---

[1] فالظاهر أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه, فيكون نهي تنزيه لا تحريم. فأما من قاله تأسفا على ما فات من طاعة الله تعالى أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحوه, هذا فلا بأس به, وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث (انظر: شرح صحيح مسلم ١٦/٢١٦)

[2] فإن فاته ما لم يقدر له فله حالتان : حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيُلقيه العجز إلى "لو". ولا فائدة في "لو" هنا, بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن. وذلك كله من عمل الشيطان. فنهاه عن افتتاح عمله بهذا المفتاح. وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته, و أنه لو قدر له لم يفُته ولم يغلِبه عليه أحد. فلهذا قال : فإن غلبك أمر فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا, ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل. فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين حالة حصول مطلوبه وحالة فواته. فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدا, بل هو أشد شيء إليه ضرورة, وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام والعبودية ظاهرا وباطنا في حالتي حصول المطلوب وعدمه (انظر: شفاء العليل ١/١٩)

الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله.

السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

باب (٥٧) النهي عن سب الريح[١]

عن أبي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرتْ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرتْ به". صححه الترمذي[٢].

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الريح.

الثانية : الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة : الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة : أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.

---

[١] لأنها مأمورة مسخرة مذللة فيما خلقت له

[٢] وكذا رواه النسائي وأحمد, وصححه الألباني

باب (٥٨) قول الله تعالى : {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ[1] وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ[2]} [آل عمران : ١٥٤]

وقوله : {ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ[3] عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ[4] وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا} [الفتح : ٦]

---

[1] أي يختبركم بما جرى عليكم, وليميز الخبيث من الطيب, ويظهر أمر المؤمن والمنافق للناس في الأقوال والأفعال (انظر: تفسير ابن كثير ١٤٦/٢)

[2] أي بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر (انظر: تفسير ابن كثير ١٤٦/٢)

[3] أي يتهمون الله في حكمه, ويظنون بالرسول وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية (انظر: تفسير ابن كثير ٣٢٩/٧)

[4] أي على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرةُ العذاب تدور عليهم به (انظر: تفسير الطبري ٢٠٥/٢٢)

قال ابن القيم في الآية الأولى[1]:

"فُسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحلّ[2]، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته, ففسر بإنكار الحكمة، و إنكار القدر، و إنكار أن يُتم أمرَ رسوله، وأن يُظهره الله على الدين كله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح[3]. و إنما كان هذا الظن السوء لأنه ظنٌّ غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق. فمن ظن أنه يُديل الباطل[4] على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار[5].

---

[1] أي في قوله تعالى : (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) إلى آخر الآية [آل عمران : ١٥٤]

[2] أي سيذهب وسيزول

[3] أي قوله تعالى : (وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا) [الفتح :٦]

[4] أي نشره وجعله متداولا

[5] كما قال الله تعالى : (وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ) [ص : ٢٧]

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلَم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجَب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيبُ الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتَّشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر ومَلامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا, فمستقل ومستكثر. وفتش نفسك، هل أنت سالم؟

فإن تنجُ منها تنج من ذي عظيمة[1]   وإلا فإني لا إخالُك ناجيا[2]"[3].

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران.

الثانية : تفسير آية الفتح.

الثالثة : الإخبار بأن ذلك أنواع لا تُحصر.

الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

---

[1] أي من مصيبة عظيمة

[2] أي لا أظنك تنجو يوم القيامة

[3] **انظر**: زاد المعاد ٢٠٥/٣-٢١١

باب (٥٩) ما جاء في منكري القدر[1]

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لِأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله, ما قبِله الله منه حتى يؤمن بالقدر[2]. ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : "الإيمان[3] أن تؤمن بالله

---

[1] القدر لغة : القضاء والحكم, وشرعا : أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها, ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد. فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته

[2] نص الحديث : عن يحيى بن يَعمر قال : كان أولَّ من قال في القدر بالبصرة معبدٌ الجهني. فانطلقت أنا وحُميد بن عبد الرحمن الحِميَري حاجَّين أو معتمرَين فقلنا : لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر, فوُفِّق لنا عبدُ بن الله عمر بن الخطاب داخلا المسجد, فاكتنفتُه أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله, فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي, فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبلَنا ناس يقرءون القرآن ويتقفّرون (أي يتطلبون) العلم, وذكر من شأنهم, وأنهم يزعمون أن لا قدر, وأن الأمر أنف, قال : فإذا لقيت أولئك فأخبِرْهم أني بريء منهم, وأنهم بُرَآء مني. والذي نفس ابن عمر بيده لو أن لأحدهم مثلَ أحد ذهبا فأنفقه, ما قبِله الله منه حتى يؤمن بالقدر. رواه مسلم

[3] معلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق, والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق, وعملَ القلب الذي هو الانقياد (انظر: مجموع الفتاوى ٦٣٨/٧)

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره[1]".

رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان[2] حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم

---

[1] قال ابن القيم : "القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه, فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته, وذلك خير محض وكمال من وجه. فالشر ليس إلى رب تعالى بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله. و إنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر. ويكون شرا بالنسبة إلى محل, وخيرا بالنسبة إلى محل آخر. وقد يكون خيرا بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه, بل هذا هو الغالب. وهذا كالقصاص و إقامة الحدود وقتل الكفار, فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه, بل من وجه دون وجه, وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض. وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورا من وجه, فهي خيرات من وجوه عديدة". (انظر: شفاء العليل ١/٢٦٨-٢٦٩)

[2] فالإيمان له حلاوة وطعم يُذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم. فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها, وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته. فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك, بل قد يستحلي ما يضره, وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه. فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان من أسقامه و آفاته. فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة, وجد حلاوة الإيمان حينئذ. ومتى مرض وسقم, لم يجد حلاوة الإيمان, بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي (انظر: فتح الباري لابن رجب ١/٥٠)

يكن ليصيبك[1]. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له : اكتب! فقال : رب، وماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة[2]". يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من مات على غير هذا فليس مني[3][4]."

وفي رواية لأحمد[5] : "إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له : اكتب! فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة".

---

[1] كما قال الله تعالى : (قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا) [التوبة : ٥١]

[2] يُفسر هذا الحديث من وجهين : أحدهما : أن الأولية راجعة إلى كتابته لا إلى خلقه. والثاني : أن المراد أول ما خلقه الله من هذا العالم بعد خلق العرش. فإن العرش مخلوق قبله في أصح قولي السلف لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألفَ سنة". قال : "وعرشه على الماء". رواه مسلم. فهذا صريح أن التقدير وقع قبل خلق العرش, والتقدير وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة هذا (انظر: التبيان في أقسام القرآن ص ٢٠٧-٢٠٨)

[3] قال الإمام أحمد : "القدر قدرة الله تعالى". يشير إلى من أنكر القدر, فقد أنكر قدرة الله تعالى. فإن القدر يتضمن إثبات قدرة الله تعالى على كل شيء

[4] رواه أبو داود والترمذي, وصححه الألباني

[5] وصححه الأرناؤوط

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار".

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال : "أتيت أبيَّ بن كعب فقلت : في نفسي شيء من القدر، فحدّثْني بشيء[1] لعل الله يُذهبه من قلبي. فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبِله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مِتَّ على غير هذا لكنت من أهل النار. قال : فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم". حديث صحيح رواه الحاكم[2] في صحيحه.

فيه مسائل :

الأولى : بيان كيفية الإيمان بالقدر.

الثانية : بيان فرض الإيمان.

الثالثة : إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة : الإخبار أن أحدا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة : ذكر أول ما خلق الله.

---

[1] أي بحديث

[2] وأحمد و أبو داود و ابن ماجه و ابن حبان, وصححه الألباني

السادسة : أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة : براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به.

الثامنة : عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

باب (٦٠) ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قال الله تعالى : ومَن أَظلمُ[١] ممن ذهب[٢] يخلق كخلقي[٣]، فليخلقوا ذرة، أو لِيخلقوا حَبة، أو ليخلقوا شعيرة[٤]". أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون[٥] بخلق الله".

---

[١] أي لا أحد أظلمُ

[٢] أي قصد

[٣] والتشبيه في فعل الصورة وحدها لا من كل الوجوه. قال ابن حجر : "يتناول ما فيه روح, وما لا روح فيه". (انظر: فتح الباري ٣٩٥/١٠) خلافا ما يقول القاضي عياض ما يأتي

[٤] والغرض تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد, وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون, ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك (انظر: فتح الباري لابن حجر ٣٨٦/١٠) ودخل في ذلك جميع وجوه استعمال الصور في البُسط واللباس وغيره. وفي حديث أبي هريرة دليل على أن نهيه عليه السلام عن الصور مجمل معناه عندهم على العموم أيضا في الحيطان والثياب وغيرها (انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٧٦/٩)

[٥] أي يشبهون

ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "كل مصوّر في النار يُجعل له بكل صورة صوّرها نفسٌ يعذَّب بها في جهنم[1]."

ولهما عنه مرفوعا : "من صور صورة في الدنيا كُلّف أن يَنفُخ فيها الروحَ وليس بنافخ[2]."

ولمسلم عن أبي الهيَّاج قال : "قال لي علي : ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألّا تدعَ[3] صورة إلا طمستها[4]، ولا قبرا مشرِفا[5] إلا سوّيته[6]."

---

[1] يحتمل أن الصورة التي صوّرها تعذبه بعد أن يُجعل فيها نفس أو روح, والباء بمعنى "في". ويحتمل أن يجعل له بعدد كل صورة ومكانها نفس أي شخص يعذبه, وتكون الباء بمعنى لام السبب أو من أجل (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦/٦٣٧)

[2] قال القاضي عياض : "فيه دليل على أن هذا الوعيد في المصور لما له روح خلاف ما لا روح فيه من الثمار, فقد أجاز هذا العلماء, وأجازوا صنعته والتكسب به إلا مجاهدا فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه, ولم يقله غيره". (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦/٦٣٨)

[3] أي ألا تترك

[4] أي محوتها

[5] أي عاليا

[6] قال القاضي عياض : "فيه الأمر بتغيير الصور ذوات الروح, وأن إبقاءها من المناكير". (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣/٤٣٩). وقال ابن الجوزي : "وعلى هذا يكره تعلية القبر. فأما التسنيم فهو السنة عندنا.

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية : التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله لقوله : "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي".

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله : "فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة".

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذابا.

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة : أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة : الأمر بطمسها إذا وجدت.

وعند الشافعي : السنة تسطيح القبر". (انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/٢١٥)

باب (٦١) ما جاء في كثرة الحلِف

وقول الله تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ[١]} [المائدة: ٨٩]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الحلف[٢] مَنفقة[٣] للسلعة، مَمحقة[٤] للكسب[٥]". أخرجاه.

وعن سلمان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أُشَيمط[٦] زان، وعائل[٧]

---

[١] قال ابن عباس: أي لا تحلفوا. وقيل: أي لا تتركوها بلا تكفير (انظر: التفسير الوسيط ٢٢٢/٢, تفسير ابن كثير ٥٩٨/٤)

[٢] ويراد به كثرة الحلف أو اليمين الكاذبة (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٩٠٥/٥, إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٩/٤)

[٣] من النفاق بمعنى الرواج. والمراد أن الحلف سبب لرواج السلعة وربحها

[٤] أي مُذهبة

[٥] أي للنماء. ومعنى الحديث: حذر النبي صلى الله عليه وسلم من استعمال الحلف والإكثار منه في البيع لترويج السلعة. فإن الحلف وإن كان صادقا مظنة لرواج السلعة في الحال, لكنه مزيل لبركتها في المآل. وقوله: "منفقة" و"ممحقة" رُوي على وجهين: الأول: "مُنفِّقة" بمعنى مروّجة, و"مُمحقة" بمعنى مُذهبة. والثاني: "مَنفقة" من النَفاق بمعنى الرَواج ضد الكساد, و"مَمحقة" بمعنى موضع لنقصان البركة

[٦] أي ذو شيب

[٧] أي فقير ذو عيال

مستكبر[1]، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه". رواه الطبراني[2] بسند صحيح.

وفي الصحيح[3] عن عِمران بن حُصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[4]"، قال عمران: فلا أدري أَذَكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا،

---

[1] قال القُونَوي: "سر ما تقرر في الحديث أن الزنا في الشباب له فيه نوع عُذر, فإن الطبيعة تقتضيه. وأما الشيخ فشهوته ضعفت. فإذا كان زانيا فليس ذلك إلا لكونه مفسدا بالطبع. وأما العائل المستكبر فالتكبر ينقسم إلى قسمين: ذاتي وصفاتي. فالتكبر الصفاتي محصور في موجبين المالَ والجاه. فالتكبر من الناس وإن كان قبيحا شرعا وعقلا لكن لأصحاب الجاه والمال فيه صورةَ عذر. وأما عادمهما إذا تكبر, فلا عذر له بوجه". (انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير٣/٣٣٢)

[2] وصححه الألباني في صحيح الجامع

[3] أي صحيح البخاري ومسلم

[4] قال النووي: "والصحيح أن قرنه صلى الله عليه وسلم الصحابة, والثاني التابعون, والثالث تابعوهم". وقال: "اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم, والمراد أصحابه. وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة, فهو من أصحابه. ورواية: "خير الناس" على عمومها. والمراد منه جملة القرون. ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم, ولا أفرادِ النساء على مريم وآسية وغيرهما, بل المراد جملة القرون بالنسبة إلى كل قرن بجملته". (انظر: شرح صحيح مسلم ١٦/٨٤-٨٥)

"ثم إن بعدكم قوما يَشهدون ولا يُستشهدون[1]، ويَخونون ولا يُؤتمنون[2]، وينذِرون ولا يوفون[3]، ويَظهر فيهم السِّمَن[4]."

وفيه[5] عن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه[6]."

---

[1] يحتمل أن يراد : يتحملون الشهادة بدون التحميل, أو يؤدون الشهادة بدون طلب الأداء (انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢١٣/١٣)

[2] معناه يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها أمانة, بخلاف من خان بحقير مرة واحدة فإنه يصدق عليه أنه خان, ولا يخرج به عن الأمانة في بعض المواطن (انظر: شرح صحيح مسلم ٨٨/١٦)

[3] فيه وجوب الوفاء بالنذر, وهو واجب بلا خلاف (انظر: شرح صحيح مسلم ٨٨/١٦)

[4] أي يعظم حرصهم على الدنيا والتمتع بلذاتها حتى تسمَن أجسادهم. وهذا كناية عن رغبتهم في الدنيا و إيثارهم شهواتها على الآخرة (انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٨١/٦, شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٥٦/٦)

[5] أي صحيح البخاري ومسلم

[6] أي أنهم لا يتورعون في أقوالهم, ويستهينون بالشهادة واليمين, وأنهم يكثرون الأيمان على كل شيء حتى تصير لهم عادة (انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢٩١/١, شرح صحيح البخاري لابن بطال ١١٣/٦)

وقال إبراهيم : "كانوا[1] يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار".[2]

فيه مسائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية : الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظُم مع قلة الداعي[3].

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يُستحلفون.

السادسة : ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة : إن الذين يشهدون ولا يُستشهدون.

الثامنة : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

---

[1] أي كان آباؤنا وكبراؤنا

[2] انظر: صحيح البخاري ٣/٥

[3] كما في حديث أشيمط زان وعائل مستكبر

باب (٦٢) ما جاء في ذمة[1] الله وذمة نبيه

وقوله : {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ[2] وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [النحل : ٩١]

وعن بُريدة قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميرا على جيش أو سرية[3] أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا فقال : "اغزوا بسم الله في سبيل الله, قاتلوا من كفر بالله, اغزوا ولا

---

[1] الذمة بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق. فلهذا سمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم

[2] أي أوفوا بكل عهد يحسن في الشريعة الوفاء به (انظر: التفسير الوجيز ص ٦١٧). قال البغوي : "العهد هاهنا هو اليمين". (انظر: تفسير البغوي ٩٣/٣)

[3] السرية دون الجيش. وهي القطعة تخرج منه تُغِير وترجع إليه. وسميت بذلك لأنها تسري بالليل

تغُلّوا[١] ولا تغدِروا[٢] ولا تمثِّلوا[٣] ولا تقتلوا وليدا[٤]. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال -، فأيَّتُهن ما أجابوك فاقبَل منهم وكُفَّ[٥] عنهم, ثم ادعهم[٦] إلى الإسلام, فإن أجابوك فاقبل منهم, ثم ادعهم إلى التحول[٧] من دارهم[٨] إلى دار المهاجرين[٩]، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين[١٠]

---

[١] أي ولا تخونوا في الغنيمة

[٢] أي لا تنقضوا العهد. وقيل : لا تحاربوهم قبل أن تدعوهم إلى الإسلام (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢٥٢٨/٦)

[٣] أي لا تقطعوا أطراف القتيل

[٤] أي صغيرا. وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهي : تحريم الغدر, وتحريم الغلول, وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا, وكراهة المُثلة, واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى, والرفق بأتباعهم, وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم, وما يجب عليهم وما يحل لهم وما يحرم عليهم وما يكره وما يستحب (انظر: شرح صحيح مسلم ٣٧/١٢)

[٥] أي امتنع

[٦] قال القاضي عياض : "الصواب : ادعهم بإسقاط ثم". (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣٢/٦)

[٧] أي الانتقال

[٨] أي بلاد الكفار

[٩] أي بلاد المسلمين

[١٠] أي من الثواب واستحقاق مال الفيء. وذلك الاستحقاق كان في زمنه صلى الله عليه وسلم, فإنه كان ينفق على المهاجرين من حين الخروج إلى

وعليهم ما على المهاجرين[1]. فإن أبوا أن يتحوَّلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين[2] يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين, فإن هم أبوا فاسألهم الجزية, فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم, فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرتَ أهل حِصن[3] فأرادوك[4] أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه،

الجهاد في أي وقت أمرهم الإمام, سواء كان مَن بإزاء العدو كافيا أو لا. بخلاف غير المهاجرين, فإنه لا يجب الخروج عليهم إلى الجهاد إن كان بإزاء العدو مَن به الكفاية (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢٥٢٩/٦)

[1] أي من الغزو

[2] أي الذين لازموا أوطانهم في البادية لا في دار الكفر. قال القاضي عياض: "قد يحتمل أنه على وجهه, لأنهم إذا لم يجاهدوا لم يكن لهم جزء من الغنائم, وخمسها إنما يدفعه الإمام باجتهاده. ولا شك أن من خرج عن بلاده وأمواله, يحتاج من المرافق ما لا يحتاج المقيم بها, فكان المهاجرون أولى بالخمس. وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يزيدهم على الأنصار للعلة التي ذكرناها من استغناء الأنصار عن ذلك, و أنه كان يريد إعطاء المهاجرين حتى لا يحتاجون إلى مواساة لهم. ولهذا لما فتحت عليه الفتوح وجاء الله سبحانه بالخير, أمرهم برد ما كان الأنصار منحوهم من الأموال". (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣٢/٦)

[3] أي من الكفار

[4] أي طلبوا منك

ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك, فإنكم أن تخفِروا[1] ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه[2]. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله فلا تُنزلهم, ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكمَ الله أم لا[3]". رواه مسلم.

---

[1] أي أن تقضوا

[2] هذا على الاحتياط, إذ قد ينقضها من لا يعرف حقها. وهذا النهي للتنزيه. قال المازري : "أما نهيه أن يجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم فإعظامه لذلك, لئلا يكون منهم تقصير يكاد أن يوقعهم في إخفار الذمة, فيكون ذلك إذا أعطوا ذمة أنفسهم أهون منه إذا أعطوا ذمة الله عووجل". (انظر: المعلم بفوائد مسلم ١٢٧/٢)

[3] أي لا تنزلهم على ما أنزل الله سبحانه وتعالى عليّ مما أنت غائب عنه ولا تعلمه, لأنك لا تدري إذا فعلت معهم فعلا هل تصادف ما أنزل الله تعالى عليّ و أنت غائب عنه أم لا؟ (انظر: المعلم بفوائد مسلم ١٢٧/٢). قال النووي : "هذا النهي أيضا على التنزيه والاحتياط. وفيه حجة لمن يقول ليس كل مجتهد مصيبا, بل المصيب واحد, وهو الموافق لحكم الله تعالى في نفس الأمر". (انظر: شرح صحيح مسلم ٤٠/١٢)

فيه مسائل :

الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية : الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرا.

الثالثة : قوله : "اغزوا بسم الله في سبيل الله".

الرابعة : قوله : "قاتلوا من كفربالله".

الخامسة : قوله : "استعن بالله وقاتلهم".

السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

السابعة : في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟

باب (٦٣) ما جاء في الإقسام على الله

عن جُندُب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال رجل: واللهِ لا يغفر الله لفلان، فقال الله: من ذا الذي يتألّى[١] عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك[٢]". رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: "تكلم بكلمة أوبقت[٣] دنياه[٤] وآخرته[٥]."

---

[١] أي يحلف

[٢] فيه الحجة لمذهب أهل السنة في غفران الله ذنوب عباده وعفوه وإن ماتوا مصرين عليها. ولا حجة فيه للمعتزلة ومن يقول بأن الذنوب تحبط الأعمال, لأن هذا المتألي قانط من رحمة الله ومكذب بها, والقنوط كفر, والكفر يحبط الأعمال (انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٠٢/٨)

[٣] أي أهلكت

[٤] أي عمله في الدنيا

[٥] لأنها جعلته خاسرا يوم القيامة

فيه مسائل :

الأولى : التحذير من التألي على الله.

الثانية : كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله[1].

الثالثة : أن الجنة مثل ذلك[2].

الرابعة : فيه شاهد لقوله : "إن الرجل ليتكلم بالكلمة" إلى آخره[3].

الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو مِن أكره الأمور إليه[4].

---

[1] لأن في الحديث السابق دلالة حبوط العمل, وهو يوجب دخول النار

[2] لأن في الحديث السابق دلالة المغفرة, وهي توجب دخول الجنة

[3] هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالا, يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالا, يَهوي بها في جهنم". متفق عليه

[4] كقول : والله, لا يغفر الله لفلان, مع أنه من أكره الأمور إلى المخاطب, فيغفره الله بسبب هذا القول

باب (٦٤) لا يُستشفع بالله على خلقه[1]

عن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه قال : "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، نُهكت[2] الأنفس وجاع العيال[3] وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك[4]، وبك على الله[5]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "سبحان الله[6]! سبحان الله!", فما زال يسبّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه[7]. ثم

---

[1] أي لا يجوز لأحد أن يجعل الله واسطة بينه وبين أحد من الخلق ليدعو الله له, ويلزم من هذا أن الله في منزلة أقل من مرتبة الخلق (انظر: فتح الرب الحميد ص ٥٦٧)

[2] أي ضعفت

[3] العيال : من تجب عليه نفقتهم من الزوجة والأولاد

[4] وهذا لا يجوز

[5] وهذا يجوز

[6] أي تنزيها له عن المشاركة, لأن ظاهر هذه العبارة موهما للتساوي في القدر أو التشارك في الأمر

[7] لأنهم فهموا من تكرار من تسبيحه أنه صلى الله عليه غضب من ذلك, فخافوا من غضبه, فتغيرت وجوههم خوفا من الله تعالى (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/٣٦٦٣)

قال : "ويحك[1] أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك[2]، إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه". وذكر الحديث، رواه أبو داود[3].

فيه مسائل :

الأولى : إنكاره على من قال : "نستشفع بالله عليك"[4].

الثانية : تغيره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : "نستشفع بك على الله".

الرابعة : التنبيه على تفسير "سبحان الله".

الخامسة : أن المسلمين يسألونه صلى الله عليه وسلم الاستسقاء.

---

[1] كلمة ترحم وتوجع, تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها. وقد تقال بمعنى المدح والتعجب (انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/٢٣٥)

[2] أي من أن يُستشفع به على أحد

[3] وضعفه الألباني

[4] لأن الشفيع يسأل المشفوع إليه أن يقضي حاجة الطالب, والله تعالى لا يسأل أحدا من عباده أن يقضي حوائج خلقه (انظر: قاعدة جليلة في التوسل ص ٢٧٠)

باب (٦٥) ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حِمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال : "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا. فقال : "السيد الله تبارك وتعالى[1]". قلنا : و أفضلنا فضلا وأعظمنا طولا[2].

---

[1] قال الخطابي : "و إنما منعهم فيما نرى أن يدعوهم سيدا مع قوله : "أنا سيد ولد آدم", وقوله لبني قريظة : "قوموا إلى سيدكم", يريد سعد بن معاذ من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام, وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي (أي السيادة) بأسباب الدنيا, وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم ويسمونهم السادات, فعلّمهم الثناء عليه, وأرشدهم إلى الأدب ذلك". (انظر: معالم السنن ١١٢/٤). قال ابن القيم : "ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيد ولد آدم", فإن هذا إخبار منه عما أعطاه الله من سيادة النوع الإنساني, وفضّله, وشرّفه عليهم. وأما وصف الرب تعالى بأنه السيد, فذلك وصف لربه على الإطلاق". وقال : "والمقصود أنه لا يجوز لأحد أن يتسمى بأسماء الله المختصة به. وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره كالسميع والبصير والرؤوف والرحيم, فيجوز أن يخبر معانيها عن المخلوق, ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق بحيث يطلق عيله كما يطلق على الرب تعالى". (انظر: تحفة المودود بأحكام المولود ص ١٢٦-١٢٧)

[2] أي عطاء للأحباء وعلوا على الأعداء (انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة الصابيح ٣٠٧٤/٧)

فقال : "قولوا بقولكم[1] أو بعض قولكم[2]، ولا يستجريَنَّكم الشيطان[3]". رواه أبو داود[4] بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه : أن ناسا قالوا : يا رسول الله، يا خيرنا و ابن خيرنا[5]، وسيدنا. و ابن سيدنا[6]. فقال : "يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهويَنَّكم الشيطان[7]. أنا محمد عبد الله[8] ورسوله[9].

---

[1] أي قولوا بقول أهل دينكم وملتكم, وادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله عزوجل في كتابه, فقال : (يا أيها النبي) (يا أيها الرسول), ولا تسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم, ولا تجعلوني مثلكم, فإني لست كأحدهم, إذ كانوا يسُودنهم بأسباب الدنيا, و أنا أسودكم بالنبوة والرسالة, فسموني نبيا ورسولا (انظر: معالم السنن ٤/١١٢)

[2] فيه حذف واختصار, ومعناه : دعوا بعض قولكم و اتركوه

[3] أي لا يتخذنَّكم الشيطان جَرِيّا أي وكيلا. ومعناه : لا تتكلفوا بقولكم كأنكم وكلاء الشيطان تنطقون على لسانه

[4] وأحمد, وصححه الألباني

[5] أي في الشرف

[6] أي في النسب

[7] أي ولا يحملنكم الشيطان على اتباع الهوى وترك أوامر الله, كقوله تعالى : (كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ) [الأنعام : ٧١]

[8] فلا يُعبد

[9] فلا يُكذب

ما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ". رواه النسائي[1] بسند جيد.

فيه مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الغلو.

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا.

الثالثة : قوله : "لا يستجرينكم الشيطان" مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة : قوله : "ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي".

---

[1] وأحمد, وصححه الألباني

باب (٦٦) باب ما جاء في قول الله تعالى : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ[1] وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الآية[2] [الزمر: ٦٧]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : "جاء حَبر من الأحبار[3] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبَع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثَّرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول : أنا المِلك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت[4]

---

[1] أي حين عبدوا معه غيره, وهو العظيم الذي لا أعظم منه, القادر على كل شيء, المالك لكل شيء, وكل شيء تحت قهره وقدرته (انظر: تفسير ابن كثير ١١٣/٧)

[2] قال ابن تيمية : "ففي هذه الآية والأحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول : ما يبين أن السموات والأرض وما بينهما بالنسبة إلى عظمة الله تعالى أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما تُدحى الكرة (انظر: مجموع الفتاوى ٥٦٢/٦)

[3] أي عالم من علماء اليهود

[4] أي ظهرت

نواجِذه[1] تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر: ٦٧]

وفي رواية لمسلم : "والجبال والشجر على إصبع، ثم يهُزُّهن[2], فيقول : أنا الملك، أنا الله".

وفي رواية للبخاري : "يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع". أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا : "يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول : أنا الملك أين الجبَّارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله[3]، ثم يقول : أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ".

---

[1] النواجذ : الضواحك, وهي التي تبدو عند الضحك. والأكثر والأشهر أنها أقصى الأسنان

[2] الهزهزة : تحريك اليد (انظر: العين في مادة هزهز)

[3] لفظة "شماله" شاذة. وقيل : ليست شاذة بل محفوظة (انظر: فتح الرب الحميد ص ٥٨٠). قال البيهقي : "فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال, ورُوي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة إلا أنه ضعيف بمرة, تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير, وبالآخر يزيد الرَّقاشي, وهما متروكان. وكيف يصح ذلك؟ وصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمى كلتا يدين يمينا (كما رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو) إلخ". (انظر: الأسماء والصفات ١٣٩/٢). قال الشيخ العثيمين : "ولكن إذا كانت لفظة "شمال" محفوظة, فهي عندي لا تنافي "كلتا يديه يمين", لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد

ورُوي عن ابن عباس قال : "ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم".[1]

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثني أبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في تُرس[2][3]."

الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى. فقال : "كلتا يديه يمين" أي ليس فيها نقص. ويؤيد هذا قوله في حديث آدم : "اخترتُ يمينَ ربي, وكلتا يديه يمين مباركة". فلما كان الوهم يذهب إلى أن إثبات الشمال, يعني : النقص في هذه اليد دون الآخر, قال : "كلتا يديه يمين", ويؤيده أيضا قوله : "المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن", فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم, وأنهم على يمين الرحمن سبحانه. وعلى كل فإن يديه سبحانه اثنتان بلا شك. وكل واحدة غير الأخرى. وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال, فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنى, بل كلتا يديه يمين. والواجب علينا أن نقول : إن ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, فنحن نؤمن بها. ولا منافاة بينها وبين قوله : "كلتا يديه يمين" كما سبق. وإن لم تثبت, فلن نقول بها". (انظر: القول المفيد ٢/٥٣٤-٥٣٥)

[1] رواه ابن جرير في تفسيره, و ابن بطة في الإبانة الكبرى, وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة

[2] الترس : الدِرع الذي يُصدّ به ضربات العدو

[3] رواه ابن جرير في تفسيره, والذهبي في العلو. وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال عنه ابن حجر في التقريب : ضعيف

وقال[١] : قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فَلاة[٢] من الأرض".[٣]

وعن ابن مسعود قال : "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم".[٤] أخرجه ابن مهدي عن حمَّاد بن سلمة عن عاصم عن زِرّ عن عبد الله.

ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي و ائل عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قال : وله طرق.[٥]

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هل تدرون كم بين السماء والأرض؟". قلنا :

---

[١] أي ابن جرير

[٢] أي الصحراء الواسعة

[٣] رواه ابن جرير في تفسيره, و أبو الشيخ في العظمة, والبيهقي في الأسماء والصفات. وفيه محمد بن زيد لم يسمع من أبي ذر

[٤] رواه ابن خزيمة في التوحيد, واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد, والذهبي في العلو, وصححه الألباني في مختصر العلو

[٥] انظر: العلو ص ٤٦

الله ورسوله أعلم. قال : "بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكِثَف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم بني". أخرجه أبو داود وغيره[١].

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله تعالى : {وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر: ٦٧]

الثانية : إن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم لم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة : أن الحبر لمَّا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم صدّقه ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة : التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى.

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال.

[١] أي أحمد والترمذي و ابن ماجه, وضعفه أحمد شاكر والألباني

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة : قوله كخردلة في كف أحدكم.

التاسعة : عِظَم الكرسي بالنسبة إلى السماء.

العاشرة : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة : أن العرش[1] غير الكرسي[2] والماء.

الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة : كثف كل سماء مائة سنة.

التاسعة عشرة : أن البحر الذي فوق السماوات أسفله وأعلاه خمسمائة سنة.

والله أعلم. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين

---

[1] هو سرير الملك

[2] هو موضع القدمين كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما

المصادر

١- القرآن الكريم

٢- الجامع : لمعمربن أبي عمروراشد (ت ١٥٣هـ), ط. المجلس العلمي - باكستان, منشورمع مصنف عبد الرزاق, تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي

٣- الزهد والرقائق : لأبي عبد الرحمن عبد الله بن مبارك (ت ١٨١هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت, تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي

٤- مسند الشافعي : لمحمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي (ت ٢٠٤هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت

٥- مسند أبي داود الطيالسي : لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ), ط. دار هجر - مصر, تحقيق : الدكتورمحمد بن عبد المحسن التركي

٦- سنن سعيد بن منصور: لأبي عثمان سعيد بن منصوربن شعبة (ت ٢٢٧هـ), ط. الدار السلفية - الهند, تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي

٧- مسند ابن الجعد : لعلي بن الجعد بن عبيد (ت ٢٣٠هـ), ط. مؤسسة نادر- بيروت, تحقيق : عامرأحمد حيدر

٨- مسند أحمد : لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ), ط. دار الحديث - القاهرة, تحقيق : أحمد محمد شاكر

٩- الزهد : لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت, تحقيق : محمد عبد السلام شاهين

١٠- صحيح البخاري : لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ), ط. دار الشعب - القاهرة, ترقيم : عبد الباقي

١١- التاريخ الكبير : لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ), ط. دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد, تحقيق : محمد عبد المعيد خان

١٢- صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ), ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت, تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

١٣- سنن ابن ماجه : لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ), ط. دار إحياء الكتب العربية ، مصر, تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

١٤- سنن أبي داود : لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِجستاني (ت ٢٧٥هـ), ط. المكتبة المصرية - بيروت, تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

١٥- غريب القرآن : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت, تحقيق : أحمد صقر

١٦- سنن الترمذي : لمحمد بن عيسى بن سَورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ), ط. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر, تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر (ج ١, ٢) , ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣), و إبراهيم عطوة عوض (ج ٤, ٥)

١٧- السنة : لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك (ت ٢٨٧هـ), ط. المكتب الإسلامي - بيروت, تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني

١٨- مسند البزار: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢هـ), ط. مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة, تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله وآخرين

١٩- سنن النسائي الصغرى : لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ), ط. مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب, تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة

٢٠- سنن النسائي الكبرى : لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ), ط. مؤسسة الرسالة - بيروت, تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي

٢١- مسند أبي يعلى : لأبي يعلى أحمد بن علي بن المُثنى (ت ٣٠٧هـ)، ط. دار المأمون للتراث - دمشق، تحقيق : حسين سليم أسد

٢٢- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) : لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، تحقيق : أحمد شاكر

٢٣- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملك) : لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط. دار التراث - بيروت

٢٤- الكنى والأسماء : لأبي بشر محمد بن أحمد الدولابي (ت ٣١٠هـ)، ط. دار ابن حزم - بيروت، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي

٢٥- صحيح ابن خزيمة : لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، ط. المكتب الإسلامي - بيروت، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي

٢٦- كتاب التوحيد و إثبات صفات الرب عزوجل : لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، ط. مكتبة الرشد : الرياض، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان

٢٧- مساوئ الأخلاق ومذمومها : لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت ٣٢٧هـ)، ط. مكتبة السوادي، تحقيق : مصطفى أبو النصر الشلبي

٢٨- تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم) : لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ), ط. مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية, تحقيق : أسعد أحمد الطيب

٢٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعبَد التميمي أبي حاتم (ت ٣٥٤هـ), ط. مؤسسة الرسالة - بيروت, تحقيق : شعيب الأرناؤوط

٣٠- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين : لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعبَد التميمي أبي حاتم أبي حاتم (ت ٣٥٤هـ), ط. دار الوعي - حلب, تحقيق : محمود إبراهيم زايد

٣١- المعجم الكبير : للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير (ت ٣٦٠هـ), ط. مكتبة ابن تيمية - القاهرة, تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي

٣٢- المعجم الأوسط : للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير (ت ٣٦٠هـ), ط. دار الحرمين - القاهرة, تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني

٣٣- العظمة : لعبد الله بن محمد بن جعفر أبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ), ط. دار العاصمة - الرياض, تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري

٣٤- سنن الدارقطني : لأبي الحسن علي بن عمربن أحمد الدارقطني (ت ٣٨٥هـ), ط. مؤسسة الرسالة - بيروت, تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرين

٣٥- الإبانة الكبرى : لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ), ط. دار الراية - الرياض, تحقيق : رضا معطي

٣٦- معالم السنن : لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨هـ), ط. المطبعة العلمية - حلب

٣٧- شأن الدعاء : لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨هـ), ط. دار الثقافة العربية - أردن, تحقيق : أحمد يوسف الدقاق

٣٨- المستدرك على الصحيحين : لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت, تحقيق : مصطفى عبد القادرعطا

٣٩- المعجم في مشتبه أسامي المحدثين : لأبي الفضل عبيد الله بن عبد الله الهروي (ت ٤٠٥هـ), ط. مكتبة الرشد - الرياض, تحقيق : نظرمحمد الفاريابي

٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن : لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ), ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت, تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور

٤١- شرح صحيح البخاري : لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد المالك (ت ٤٤٩هـ), ط. مكتبة الرشد - الرياض, تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم

٤١- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات : لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت

٤٢- الأسماء والصفات : لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ), ط. مكتبة السوادي - جدة, تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي

٤٣- السنن الكبرى : لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت, تحقيق : محمد عبد القادر عطا

٤٤- شعب الإيمان : لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ), ط. مكتبة الرشد - الرياض, حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : د. عبد العلي عبد الحميد حامد

٤٥- الاستذكار: لأبي عمريوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت٤٦٣هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت, تحقيق : سالم محمد عطا ومحمد علي معوض

٤٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت٤٦٣هـ), ط. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب, تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري

٤٧- تاريخ بغداد : لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ), ط. دار الغرب الإسلامي - بيروت, تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف

٤٨- شرف أصحاب الحديث : لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ), ط. دار إحياء السنة النبوية, تحقيق : د. محمد سعيد خطي اوغلي

٤٩- التفسير الوجيز: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ), ط. دار القلم الشامية - دمشق, تحقيق : صفوان عدنان داوودي

٥٠- التفسير الوسيط : (الوسيط في تفسير القرآن المجيد) : لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ), ط. مؤسسة الرسالة - بيروت, تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود

٥١- تفسير البغوي (معالم التنزيل) : للحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت ٥١٦هـ), ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت, تحقيق : عبد الرزاق المهدي

٥٢- شرح السنة : للحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت ٥١٦هـ), ط. المكتب الإسلامي - دمشق, تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش

٥٣- المعلم بفوائد مسلم : لأبي عبد الله علي المازري (ت ٥٣٦هـ), ط. وزارة الأوقاف - القاهرة, تحقيق : متولي خليل عوض الله وموسى السيد شرف

٥٤- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) : لعبد الحق بن غالب بن عطية (ت ٥٤٢هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت, تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد

٥٥- إكمال المعلم بفوائد مسلم : للقاضي عياض الحصبي (ت ٥٤٤هـ), ط. دار الوفاء - مصر, تحقيق : الدكتور يحيى إسماعيل

٥٦- إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم : للوزير عون الدين بن هبيرة (ت ٥٦٠هـ), ط. دار العلا - مصر, تحقيق : محمد حسين الأزهري

٥٧- كشف المشكل من حديث الصحيحين : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ), ط. دار الوطن - الرياض

٥٨- النهاية في غريب الحديث والأثر : لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ), ط. الصباح - دمشق, تحقيق : نور الدين عتر

٥٩- الكافي : لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ), ط. دار هجر - مصر, تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي

٦٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت ٦٥٦هـ), ط. دار ابن كثير - بيروت, ودار الكلم الطيب - دمشق, تحقيق : محي الدين ديب مستو وآخرين

٦١- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ), ط. دار الكتب المصرية - القاهرة, تحقيق : أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش

٦٢- الأربعون النووية : لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ), ط. دار المنهاج - بيروت, عُني به : قصي محمد نورس الحلاق, و أنور بن أبي بكر الشيخي

٦٣- رياض الصالحين : لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ), ط. مؤسسة الرسالة - بيروت, تحقيق : شعيب الأرناؤوط

٦٤- شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) : لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ), ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت

٦٥- لسان العرب : لمحمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ), ط. دار صادر- بيروت

٦٦- مجموع الفتاوى : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. الشيخ عبد الرحمن بن قاسم

٦٧- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ), ط. دار عالم الكتب - بيروت, تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل

٦٨- التدمرية : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. مكتبة العبيكان - الرياض, تحقيق : د. محمد بن عودة السعوي

٦٩- جامع المسائل : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. دار عالم الفوائد - الرياض, تحقيق : محمد عزير شمس

٧٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. دار العاصمة - السعودية, تحقيق : علي بن حسن

٧١- جواب في الحلف بغير الله والصلاة إلى القبور ويليه : فصل في الاستغاثة : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), طبع في الكويت, تحقيق : فواز محمد أحمد العوضي

٧٢- الرد على الإخنائي قاضي المالكية : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. المكتبة العصرية - بيروت, تحقيق : الداني بن منير آل زهوي

٧٣- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. دار الطيبة - الرياض

٧٤- الصارم المسلول على شاتم الرسول : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. الحرس الوطني السعودي - المملكة العربية السعودية, تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد

٧٥- الفتاوى الكبرى : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت

٧٦- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. مكتبة الفرقان - عجمان, تحقيق : ربيع بن هادي عمير المدخلي

٧٧- مجموعة الرسائل والمسائل : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. لجنة التراث العربي, تحقيق : السيد محمد رشيد رضا

٧٨- النبوات : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ), ط. أضواء السلف - الرياض, تحقيق : عبد العزيز بن صالح الطويان

٧٩- مشكاة المصابيح : لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت ٧٤١هـ), ط. المكتب الإسلامي - بيروت, تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني

٨٠- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها : لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن قَيماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ), ط. مكتبة أضواء السلف - الرياض, تحقيق : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

٨١- إعلام الموقعين عن رب العالمين : لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت, تحقيق : محمد عبد السلام إبراهيم

٨٢- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. مكتبة المعارف - الرياض, تحقيق : محمد حامد الفقي

٨٣- بدائع الفوائد : لمحمد بن أبي بكربن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. دار الكتاب العربي - بيروت

٨٤- التبيان في أقسام القرآن : لمحمد بن أبي بكربن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. دار المعرفة - بيروت, تحقيق : محمد حامد الفقي

٨٥- تحفة المودود بأحكام المولود : لمحمد بن أبي بكربن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. مكتبة دار البيان - دمشق, تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط

٨٦- الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) : لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. مجمع الفقه الإسلامي - جدة, ودار عالم الفوائد - جدة, تحقيق : محمد أجمل الإصلاحي, خرج أحاديثه : زائد بن أحمد النشيري

٨٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لمحمد بن أبي بكربن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. دار الكتب العلمية - بيروت

٨٨- زاد المعاد : لمحمد بن أبي بكربن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. مؤسسة الرسالة - بيروت, ومكتبة المنار الإسلامية - الكويت

٨٩- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. دار المعرفة - بيروت

٩٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين : لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. دار الكتاب العربي - بيروت, تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي

٩١- الوابل الصيب من الكلم الطيب : لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. دار الحديث - القاهرة, تحقيق : سيد إبراهيم

٩٢- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة : لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ), ط. دار العاصمة - الرياض, تحقيق : علي بن محمد الدخيل الله

٩٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : لمحمد بن محمد بن عبد الكريم البعلي (ت ٧٧٤هـ), ط. دار الحديث - مصر, تحقيق : سيد إبراهيم

٩٤- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) : لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ), ط. دار الطيبة - الرياض, تحقيق : سامي بن محمد سلامة

٩٥- جامع العلوم وحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم : لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ), ط. مؤسسة الرسالة - بيروت, تحقيق : شعيب الأرناؤوط و إبراهيم باجس

٩٦- الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدي الساعة : لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ), ط. دار المأمون - دمشق, تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط

٩٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري : لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ), ط. مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية, تحقيق : محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين

٩٨- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ), ط. الفاروق الحديثة - القاهرة, تحقيق : أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني

٩٩- كشف الأستار عن زوائد البزار : لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ), ط. مؤسسة الرسالة - بيروت, تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي

١٠٠- القاموس المحيط : لأبي عبد الله محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ), ط. مؤسسة الرسالة - بيروت, تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي

١٠١- تقريب التهذيب : لأحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ), ط. دار الرشيد - سوريا, تحقيق : محمد عوامة

١٠٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ), ط. دار المعرفة - بيروت

١٠٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ), ط. المطبعة المنيرية

١٠٤- شرح سنن أبي داود : لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ), ط. مكتبة الرشد - الرياض, تحقيق : خالد بن إبراهيم المصري

١٠٥- حاشية السيوطي على سنن النسائي : لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ), ط. مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب

١٠٦- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني (ت ٩٢٣هـ), ط. المطبعة الكبرى الأميرية - مصر

١٠٧- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : لعلي الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، ط. دار الفكر - بيروت

١٠٨- التيسير بشرح الجامع الصغير: لزين الدين محمد المناوي (ت ١٠٣١هـ)، ط. مكتبة الإمام الشافعي - الرياض

١٠٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير: لزين الدين عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، ط. المكتبة التجارية الكبرى - مصر

١١٠- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : لمحمد علي بن محمد البكري (ت ١٠٥٧هـ)، ط. دار المعرفة - بيروت، اعتنى بها : خليل مأمون شيحا

١١١- حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه) : لمحمد بن عبد الهادي السندي (ت ١١٣٨هـ)، ط. دار الجيل - بيروت

١١٢- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : لمحمد بن علي ابن القاضي محمد التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، ط. مكتبة لبنان - بيروت، تحقيق : د. علي دحروج

١١٣- سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام : لمحمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، ط. دار الحديث - القاهرة

١١٤- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ)، ط. المكتب الإسلامي بيروت، تحقيق : زهير الشاويش

١١٥- فتح القدير : لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ط. دار ابن كثير - دمشق، ودار الكلم الطيب - بيروت

١١٦- نيل الأوطار : لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ط. دار الحديث - مصر، تحقيق : عصام الدين الصبابطي

١١٧- تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) : لشهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق : علي عبد الباري عطية

١١٨- فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد : لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥هـ)، ط. دار العقيدة - القاهرة

١١٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود : لمحمد أشرف العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، ط. دار الكتب العلمية - بيروت

١٢٠- القول السديد شرح كتاب التوحيد : لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ط. وزارة الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية

١٢١- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية : لإسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي الأنصاري (ت ١٤١٧هـ), ط. عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

١٢٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. المكتب الإسلامي - بيروت

١٢٣- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. المكتب الإسلامي - بيروت

١٢٤- تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. مكتبة المعارف - الرياض

١٢٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. مكتبة المعارف - الرياض

١٢٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. دار المعارف - الرياض

١٢٧- صحيح الجامع : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. المكتب الإسلامي - بيروت

١٢٨- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج

١٢٩- صحيح وضعيف سنن أبي داود : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج

١٣٠- صحيح وضعيف سنن الترمذي : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج

١٣١- صحيح وضعيف سنن النسائي : لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ), ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج

١٣٢- القول المفيد على كتاب التوحيد : لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ), ط. دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية

١٣٣- مشاهير علماء نجد وغيرهم : لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب, ط. دار اليمامة - الرياض

١٣٤- فتح الرب الحميد في شرح كتاب التوحيد : لخالد بن محمود الجهني, ط. دار العلم والمعرفة - مصر

الفهرس